مجلة البيان – العدد 72 ، شعبان 1414هـ / يناير 1994م

كلمة صغيرة

دينكوشوت جديد

أصحاب المبادئ يستميتون في الدفاع عن مبادئهم والدعوة لها وإن كانوا على باطل، فكيف إذا كانوا على الحق؟ لا شك أنهم أولى بالصمود والدعوة لمبادئهم والدفاع عنها حتى آخر نفس وبالتي هي أحسن ..

ومازال المبطلون - كعادتهم - يشيعون الشر والفاحشة في الذين آمنوا ربما ليكونوا شيئاً مذكوراً، ومن هؤلاء (سلمان رشدي) و (علاء حامد)،ويأتي أخيراً (د. حامد نصر أبو زيد) ليهاجم الإسلام ساخراً من مسلماته وتاريخه وأعلامه ، ويتيح له الإعلام العلماني المجال بحرية ليحارب بسيف (دينكوشوت) وقد افتضح وكشفت أوراقه الأخيرة، إلا أن مما يذكر فيشكر ما قام به الكاتب (محمد جلال كشك) من نقد لمنهجية المذكور حتى لفظ أنفاسه الأخيرة - رحمه الله- بنوبة قلبية وهو يناظره إعلامياً .

حسبنا الله ونعم الوكيل

الافتتاحية

الصحوة الإسلامية
بين وعد الله .. وكيد العبيد

التحرير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد:

لم تكن بدايات نهضة أمتنا هي (الحملة الفرنسية) على مصر كما يزعم ذلك تلامذة التغريب من كتاب التاريخ المعاصر.

إنما كانت تلك حملةً صليبية تهدف إلى ضرب الأمة في الصميم يوم صبت جام غيظها وحقدها على رمز أصالة الأمة ومعقل قيادتها ، حينما دخلت خيلهم الأزهر تغتال وتستبيح حرمة المسجد ، وتنتهك دماء الأبرياء ، وكانت ثورات الشعب المصري الوطنية ذات منطلقات إسلامية، وإن فشلت في المقاومة لأسباب معروفة لا يتسع المجال لذكرها، ولم يلبث أن قام الاستعمار الإنجليزي على أنقاض الاستعمار الفرنسي ، ليؤدي رسالته الصليبية في التغريب التي لاتزال مصر إلى الآن تعاني من آثارها العلمانية الخطيرة في التعليم والإعلام والاقتصاد والسياسة..

ومع أن الدعوة السلفية في الجزيرة العربية التي هي مصدر من مصادر النهضة الإسلامية المعاصرة قد أوقف مدها (محمد علي والي مصر) لأسباب

سياسية بحتة ، إلا أنها تركت بصماتها وآثارها الإيجابية على كل الحركـات الإسلامية فيما بعد في جل ديار الإسلام ، عودة إلى الله واعتزازاً بالإسلام منهاج حياة، مما ساهم في بزوغ ما اصطلح عليه بالصحوة الإسلامية. وهذه الصحوة ليست على مسـتـوى الشباب فحسب كما يتوهم الكثيرون وإنما عمت فئات الأمة كلها.

* تأثير الصحوة الإسلامية في أعيان من الأمة ومن ذوي الشأن فيها.
*نشوء الجماعات والحركات الإسلامية في جل البلدان.
*التزام الشباب في المدارس والجامعات واعتزازهم بالهدي النبوي.
*هداية نفر من كبار الكُتّاب والمفكرين والصحفيين ممن عُرِفَ بالإلحاد والانحراف.
*نشوء الجمعيات والمراكز الدعوية الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه.
*إسلام كثير من العلماء والمفكرين الأجانب.
*الدعوة إلى أسلمة المعرفة والانعتاق من هيمنة الفكر الوافد.
*كسب الإسلاميين ثقة العاملين في النـقـابـــات وجمعيات النفع العام وتسنم قيادتها من خلال ترشيح أعضاء النقابات لهم.

ومع هذه المعطيات الكبيرة للصحوة التي أظهرت عزة المسلمين،وبينت مدى قوتهم بالانتماء لدينهم وموالاتهم لإخوانهم ومفاصلتهم لأعدائهم ، انكشفت للأمـــة جمـعـاء حقيقة دعاة التغريب والتبعية ، وظهروا أقزاماً وبانوا أذناباً لا تهمهم سوى مصالحهم الـذاتـيـة ، ولا يعنيهم سوى تنفيذ مخططات أسيادهم ، فخسروا مكانتهم وهم الذين طالما خدعوا الأمـــة بدعاويهم وشعاراتهم.

كل ذلك قذف الرعب في قلوب الذين كفروا فكانت حـمـــلاتهم ضد الصحوة وضد الشباب الإسلامي ، وقامت وسائل الإعلام الأجنبية بحملات غريـبـة متهمة الإسلاميين بالتعصب والجمود والإرهاب والكراهية... حتى قالوا: (إن الخطر على الغرب ليس من الشيوعية بل من المسلمين المتعصبين الذين تعاظم نشاطهم بشكل مذهل رغـم كـــل ما أوقع بهم في المنطقة مـــن مـحـــن وتنكيل)، وقام تلامذتهم المستغربون والأذناب في الصحافة العربية بحملات إجرامية ضد الإسلاميين تقوم على الكذب والتزوير وترديد مقولات المستشرقين والمبشرين ، وتمثلت تلك الحملة الظالمة في عدة محاور:

أولا: الإيحاء للحكام في المنطقة الإسلامية بخطر موهوم وراء كل تحرك إسلامي ، ودعوى أن دافع أي تجمع للإصلاح إنما وراءه أهداف بعيدة أول ما تنال نفوذ ذوي النفوذ.

ثانيا: إلصاق تهمة الإرهاب والتطرف بدعاة الفكرة الإسلامية بدون استثناء.

ثالثا: الـتـعـتـيم على الحركة الإسلامية وادعاء أنها ردود أفعال متشنجة وشعارات جوفاء ليس إلا ، كما يـزعــم ذلـك أمــثـال (محمد أركون) و(فؤاد زكريا) و(زكي نجيب محمود) وأضرابهم.

وقامت وسائل الإعلام المسموع منـهـــا والمرئي والمقروء بالضرب على تلك الأوتار من أجل تحقيق الأهداف التالية:
1- ضرب كل توجه إسلامي في البلاد الـعـربـيــة والإسلامية ، مما يؤدي إلى ردود أفعال يائسة يكون ضحيتها الكثيرين كما هو مشاهد ومعلوم.
2- أن تعيش الدول الإسلامية بعامة والعربية بخـاصــة أجواء مضطربة حينما تنزع الثقة بين الحكام والمحكومين مما يجعل أولئك الحكام في حاجة ماسة للأجنبي.
3- فقدان الدول الإسلامية للطاقات العلمية والإصلاحية القادرة ذات التوجه الإسلامي لاضطرارها للهجرة ومغادرة ديار الإسلام.
4- تشجيع التيارات العلمانية ليكون رموزها هم المقربين من المتنفذين وصناع القرار ليكون أول قراراتهم ضرب أي توجه إسلامي مهما كان انتماؤه ومنطلقاته.
الغريب أن تـلـك الأجـــــواء المضطربة التي يشجعها أولئك الأعداء لا نجدها إلا في العالم العربي والإسلامي ، بينما نجد بلدان الغرب تعيش ديمقراطية نسبية حتى اضطر كثير من الإسـلامـيـيـن للهجرة إليها اضطراراً أمام كبت الحاكمين بأمرهم ومضايقتهم لهم ، أما إذا اضطهد أو أوذي أي ملحد أو علماني فإننا نجد وسائل إعلامهم تشنع على ما يحصل ضد أولئك ، بينما تصاب بالصمم والخرس حينما يضهد ويعدم وينكل بدعاة الإسلام ، وربما حصل احتجاج لطيف من جمعيات ما يسمى بحقوق الإنسان التي نسيت أو تناست حقوقاً أهدرت لشعوب بأكملها في البوسنة والهرسك ، وكوسوفو ، والسنجق ، والهند والفلبين ، وكشمير ، وفلسطين ، وغيرها.
ورعب الغرب وخوفه من التوجه الإسلامي والصحوة الإسلامية للشعوب ناتج من اعتبارهم الإسلام والمسلمين العدو الحقيقي الذي إن مكن له وفتحت الأبواب أمامه ستسقط إزاءه كل الأصنام وكل الحاكمين بغير ما أنزل الله ، وحينها لن يكون للـغــرب ولا للشرق عملاء في المنطقة يحركونهم كقطع الشطرنج ، وهذا مصدر خوفهم.
إننا بحمد الله نعلم أنهم أعداؤنا كما يصفهم الله تعالـى: ((ولـــن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم))(البـقـرة:120) ، وقـولـــه تعالى: ((ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا))(البقرة:217) فهذه حقيقة نعلمها ونعيها. وعزاؤنا أن ما يتعرض له التيار الإسلامي مـن مصادرة لفكره واستباحة لأعراضه وقتل وسجن وتشريد.. إنما هو ضريبة الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله.
إننا نذكرالمناوئين للتيار الإسلامي بأن الله متم أمره لأن الله تعالى يقول: ((هو الذي أرسل رسوله بالهــدى وديــن الحــــــق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون))(الصف: 9)، فاحذروا.. ثم احذروا.. وإلا فالموعد الله وحينها سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..

من قضايا العقيدة

منهجية أهل السنة في دراسة العقيدة وتدريسها

خميس بن عاشور

إن من ضروريات المنهجية العـلـمـيـــة السليمة إدراك الموضوع قبل دراسة أي مسألة ؛ لأن تحديد موضوع القضية من شأنه أن يمهد السبيل لتصور الطريقة الصحيحة التي تقود نحو الهدف والغاية المنشودة ، والعقيدة الإسـلامية باعتبارها علماً من العلوم الشرعية لا تنطبق عليه المناهج العقلية انطباقاً كلياً؛لأننا بذلك نفقدها أهم ميزة تميزها وهي خاصية المصدرية الإلهية ، ولكي نحول دون هذا الانزلاق الـمنهجي ، فإنه يجب تطبيق المنهجية الشرعية في دراسة العقيدة الإسلامية كموضوع أولاً ثم كـغـايـــة ثـانـيـاً ، وذلك لكي لا تتحول هذه العقيدة من وضع إلهي إلى وضع بشري ، كما حدث فعلاً لـــدى الكـثـيـريـن مـــن المهتمين بالعقيدة الإسلامية.

إن أهم خاصية كما سبق للعقيدة الإسلامية أنها إلهية المصدر ومعنى ذلك أنها تعتمد على التوقـيـف مـوضـوعـــاً وغاية ، لذلك فإنه باكتمال الدين الإسلامي وتمامه تكون العقـيـــدة الإسلامية قد كملت وتـمـت،وينبثق عن ذلك قاعدة نجد أنفسنا مرغمين على التسليم بها، وهذه القاعدة تقول: لا اجـتـهـــاد في العقيدة الإسلامية ، باعتبار أننا نعرف العقيدة على أنها: مجموعة من القضايا التي نؤمـن بها إيماناً لا يتطرق إليه الشك أو الريب ، إن هذه القاعدة منبثقة بدورها من القاعدة العامة التي تقول: إنه لا اجتهاد مع النص ، وباعتبار أن العقيدة تعتمد على التوقيف أي على النص الشرعي ، فإنه يؤول الأمر إلى الإقرار بهذه القاعدة ، وقبل أن نحدد قضايا هذه العقيدة فإننا يجب أن نسلم كذلك بأن قضايا العقيدة الإسلامية محدودة بمحدودية النصـــوص ، وعدم اتساع هذه القضايا عن طريق الاجتهاد ؛ لأن ذلك يؤدي إلى التقدم بين يدي النصوص الشرعية مثلما وقع فعلاً عند فئة من المتكلمين وخاصة المعتزلة الذين تجاوزوا النصوص التي هي الإطار الثابت للعقيدة الإسلامية،وبالتالي زادت قـضـايـــا العقيدة عندهم من وجه ونقصت أو بعبارة أدق تقلصت من وجه آخر. إن القول بجواز الاجتهاد في العقيدة هو من جهة أخرى خرق لمضمون آية قرآنية تقول: ((يا أيها الذين آمـنـوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم...))(1)وكذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : (إنـمـــا هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم »، وليست العبرة هنا بخـصـــوص السبب ، ولكن بعموم اللفظ الناهي عن السؤال في المواضع التي سكت عنها الشارع، سواءً أكانت من مسائل الأحكام أو مسائل العقائد.

إن البحث في الناحية القيمية لأي علم إنما تكمن في التطلع نحو الغاية والعقيدة الإسلامية علم شرعي له غايته التي تتـمـثــل في العلم بالله سبحانه ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً ؛ وذلك من أجل غاية نهائية هي العبادة الخالصة المتمثلة في تحقيق توحيد الألوهية. قال تعالى: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) (2) ولقد كانت الغاية من بعث الرسل هي وضع أسس العقيدة التي ترضي الله عز وجل ، ولقد كانت دعوة أول رسول هي أن(اعبدوا الله مالكم من إله غيره »وكذلك كانت آخر دعــوة لآخر نبي ورسول: ((ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطـاغــوت)) (3) ، ولقد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه بعث معاذاً إلى اليمن وقال له: »إنك سـتـأتي قـومـــاً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله« ومن أواخر ما ثبت عنه كذلك حين ما حضرته الوفاة:"لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" »، وهذا تحذير من الشرك الذي هو نقيض التوحيد ، وبالنظر إلى ما ورد من نصوص كثيرة في هذا الموضوع أي قضية التوحيد فإننا نقرر بوضوح أنه أول واجب على المكلف ، وأنه أهم قضية من قضايا العقيدة الإسلامية على الإطلاق ولاسيما عندما نجد التحذير شديداً عما يناقضه من الشرك ((ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين))(4) ، وقال تعالى: ((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) (5).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة) (متفق عليه).

ولقد اشتملت آية الكرسي على أنواع التوحيد الثلاثة ، قال تعالى: ((الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)) (6).

ففي قوله تعالى (الله لا إله إلا هو): توحيد الألوهية أي توحيد العبادة وفي قوله (الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم »، وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ، وقوله (وهو العلي العظيم): توحيد الأسماء والصفات ، وفي قوله (له ما في السموات وما في الأرض) مع بقية الآية: توحيد الربوبية.

ومن خلال استشفاف النصوص القرآنية والحديثية نجد أن قضية التوحيد هي القضية الرئيسة في العقيدة الإسلامية ، وهي أول ما يجب على المكلف معرفته ، ولكننا عندما نبحث عن أول قضية مهمة عند أهل الكلام نجدهم يقولون إن أول واجب على المكلف النظر والاستدلال ، بل إننا نجد بعضهم يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يقول أبو هاشم الجبائي: أول واجب على المكلف الشك في الله ، وذلك لأن المتكلمين من هذا الصنف اعتبروا قضية الربوبية هي القضية الرئيسة في العقيدة الإسلامية ، فأكثروا من الأدلة العقلية

وغيرها من أجل أن يقضوا على إمكانيات العقل في إثبات القضية العكسية كذلك، وهي الإلحاد الذي هو هنا بمعنى إنكار الخالق ، لقد اهتم أهل الكلام بقضية وجود الله اهتماماً يكاد يطغى على مباحث علم الكلام ، والناظر في كتب الكلام يحسب بادئ ذي بدء أن قضايا العقيدة الإسلامية محصورة في مشكلة الإيمان بالخالق ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً، ولكن عند الرجوع إلى القرآن الكريم كلام الله فإننا سرعان ما نجد أهمية هذه القضية في تذكير الإنسان بنعم الله ، وكذلك جعلها دليلاً على توحيد الألوهية ، وهي مركوزة في الفطرة حتى إن القرآن ليذكر أن الأنبياء تعجبوا من أقوامهم لما ادعوا إنكار الخالق ((قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى...)) (7).

إن الفرق بين اهتمامات علم الكلام واهتمامات القرآن فرق جوهري لأن ما يعتبره علم الكلام قضية كبرى لم يعتبره القرآن إلا قضية طارئة اتصفت بها بعض الشخصيات الطاغوتية ، كشخصية فرعون الذي أراد بذلك ترسيخ سلطته »الثيوقراطية« عن طريق ادعائه الربوبية ، وإنكار وجود إله غيره.

لقد أثبت القرآن الكريم أن الإيمان بربوبية الله تعالى أمر فطري لا تنكره النفوس مهما تكبرت وتجبرت ظلماً وعلواً ((وجحدوا بها واستيقـنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)) (8) ، وقال سبحانه في آية الميثاق:((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم،قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)) (9).

وقال: ((فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون))(10). وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (كل مولود يولد على الفطرة »وفي رواية: (على هذه الملة فأبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه كما تولد البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء).

وبعد: فإنه يتبين أن مهمة العقيدة الإسلامية وغايتها تربوية ، أساسها التزكية عن طريق كشف الحجب ، وإزالة العوائق عن الفطرة الإنسانية ، وهذه العملية كفيلة بإحياء العقيدة في نفوس البشر عامة ، ولقد دأب الأنبياء والرسل على العمل من أجل تحقيق هذه الغاية ، وتزكية النفوس من أجل إرجاعها إلى فطرتها النقية التي تقر بالله رباً وخالقاً ومعبوداً ، إن أوقاتاً كثيرة أضاعها أهل الكلام ولاتزال اليوم تضيع عبر المناهج الدراسية التي تتناول موضوع العقيدة وذلك لأن خصوم العقيدة الإلهية أحدثوا شبهاتهم واعتبروها أدلة كافية لإنكار الخالق وفي الوقت نفسه دافع أنصار هذه العقيدة عن عقيدتهم باستحداث مجموعة هائلة من الردود وبعد انقضاء الفترة الذهبية للإسلام تغيرت مناهج الاعتقاد فأصبح الإسلام وعقيدته عبارة عن شبهات وردود على تلك الشبهات، وانقلب الوضع من منهج العرض إلى منهج الرد ،

وهذا هو أكبر انحراف واستدراج تواجهه العقيدة الإسلامية اليوم عبر مناهج تدريسها، إذ لايزال علم الكلام والفلسفة عمدة أقسام العقيدة وأصول الدين في كثير من جامعات العالم الإسلامي العريقة ، وأمام سيطرة المنهج الكلامي على دراسة العقيدة فإنه لم يبقَ إلا رصيد وحيد للاعتقاد الذي يرضي الله ورسوله ، وهو رصيد الفطرة التي لم تتراكم عليها الشبهات ، وبعد أن كان المسلمون ينهلون من مصدر الكتاب ومعين السنة أصبحوا اليوم لا يعرفون من العقيدة إلا ما جاء في »العقائد النسفـية« أو »جوهرة التوحيد« وهما مثالان لما تدرسه أكبر الجامعات الإسلامية العريقة كالأزهر والزيتونة ، رغم ما فيهما من مخالفات صريحة لنصوص الكتاب والسنة ، ومتناقضات تنفر منها العقول ، ولذلك فليس غريباً أن نسمع أو نرى عالماً من كبار العلماء أو شيخاً من كبار الشيوخ ينزلق في متاهات اعتقادية خطيرة لأن المقاييس لم تكن مأخوذة من نصوص الوحي الإلهي ، بل أخذت من أقوال بشرية غير معصومة عبر تلك المتون والشروح المطولة أو المختصرة ، التي يخلو معظمها من ذكر النصوص وخاصة الأحاديث الصحيحة منها.
إن مصداقية العقيدة فيما بعد القرون الثلاثة المفضلة قد انتابها نوع من الفـتور بسبب تدخلات العقل البشري وتمحلاته ، وذلك أنه بعدما كان أساس الاعتقاد يعتمد على رصيد الفطرة ، التي لا يمكن أن يمازجها شك أو ريب المستهدية بنور الوحي ، أصبح الاعتقاد عبارة عن موازين عقلية جافة لا يمكنها أن تحدث ذلك التفاعل الوجداني الذي هو شرط لأي اعتقاد سليم ، وبعبارة أخرى ما يمكن أن يكون أساساً للعقيدة الدافعة نحو السلوك والعمل بمقتضى تلك العقيدة حيث لا تناقض بين العقل والقلب مثلما يريد أهل الكلام عن قصد أو عن غير قصد حيث اعتمدوا على المنطق اليوناني ومغالطاته ، ومن هنا نجد أنفسنا قد ألقينا حبل السفينة في محطة أخرى هي قضية الإيمان التي تدافع فيها العقل مع النقل بالرغم من أن هذا التدافع والتناقض ليس ممكناً أصلاً لولا اعتداءات العقل البشري على حدود الوحي الإلهي الذي يدعم ذلك الأصل القوي وهو الفطرة.
وهناك حقائق شرعية جعلت الحقائق اللغوية محمولة عليها طبقاً للقاعدة التي تقول يحمل العام على الخاص والمطلق على المقيد، والحقيقة الشرعية خاصة أو مقيدة ومسألة الإيمان لها جانب من هذه المعادلة ، فلفظ الإيمان من الألفاظ التي قيدها الاصطلاح الشرعي فحملت عليه،فمثلاً الحج في اللغة معناه القصد، والصلاة في اللغة تعني الدعاء، وكذلك الإيمان معناه في اللغة التصديق، وأما بعد ورود الشرع فقد أصبح المعنى في كل هذه الأمثلة خاصاً فالحج عبارة عن أقوال وأعمال مخصوصة في أماكن وأزمنة مخصوصة والصلاة كذلك صارت مجموعة من الأقوال والأعمال تبدأ بتكبيرة الإحرام وتنتهي بالتسليم ، وأما الإيمان فإن مسألة الاختلاف في تعريفه إنما ترجع إلى إمكانية تسليم المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي الشرعي ؛ لأن الذين

خالفوا تعريف أهل السنة والجماعة أي السلف إنما تمسكوا بالمعنى اللغوي وهم بذلك أهدروا الحقائق الشرعية النصية التي أدخلت عليه خصوصيات أصبحت ملزمة لا يمكن أن نتجاهلها ، وذلك بالنظر إلى مقاييس الكتاب والسنة الصحيحة.

إن الاختلاف في تعريف الإيمان أنتج مواقف فرعية وخاصة فيما يتعلق بعنصر العمل الذي يراه أهل السنة جزءاً يدخل في مسمى الإيمان الاصطلاحي وكذلك يرى المعتزلة ، غير أن الفرق بين الموقفين أن المعتزلة اعتبروا العمل جزءاً لا يتجزأ منه وفقدانه يعني بالضرورة فقدان الإيمان كله ، بينما يرى أهل السنة أن العمل جزء من الإيمان ، لكن الإيمان يتبقى ، فقد يزول العمل ويتبقى أصل الإيمان؛ لأن الإيمان شعب متعددة لا شعبة واحدة ، وفي مقابل ذلك يرى المرجئة بمختلف تياراتهم من أشعرية وماتوريدية أن الإيمان هو التصديق وبالتالي تمسكوا بالمعنى اللغوي،وقالوا إنما الأعمال هي نتيجة لذلك، وليست جزءاً من مسمى الإيمان، ولذلك قالوا إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ومع أن هذا مصادمة لنصوص الكتاب والسنة مصادمة مباشرة فإن سبب ذلك لاشك يرجع إلى ما فرضه العقل الأرسطي على هذه القضية الاعتقادية، وما قد يؤدي عندهم من انعدام الإيمان مادام عرضة للزيادة أو للنقصان.

إن تجاهل الحقائق الشرعية هو المزلق الذي انزلق فيه أهل الكلام في دراساتهم لمسائل العقيدة، ولذلك نجد تعاريفهم لمختلف القضايا تختلف دائماً عن تعاريف أهل السنة والجماعة الذين يستخرجون تعاريفهم بعد عملية استقراءٍ لنصوص الوحي، وذلك لكي يتجنبوا ما قد يكون متعارضاً مع هذه النصوص ودلالاتها، وكما سبق في تعريف التوحيد عند أهل السنة حيث نجد أنه إفراد الله بالعبادة وإثبات صفاته التي تغاير مخلوقاته، وفي خلقه وتقديره لأفعال العباد، وذلك وفق ما دلت عليه النصوص، بينما يرى أهل الكلام أن التوحيد هو نفي الشبيه عن الله ولا يركزون بتاتاً على توحيد الألوهية الذي هو معنى شهادة لا إله إلا الله؛ وحتى لا تهمل كثير من نصوص الوحي، وحتى لا يضرب بعضها ببعض فإن أهل السنة يجعلون العمل هو المتغير الذي يميز الدالة الإيمانية، فالإيمان يزيد بالعمل الصالح من الطاعات والعبادات المختلفة وينقص بالمعاصي وترك العمل الصالح، وهذا على وفق ما اقتضاه الشارع الحكيم واضع العقيدة الإسلامية من تفاوت المؤمنين في إيمانهم تبعاً لتغير الدالة الإيمانية، وبالتالي كان الجزاء متناسباً مع درجة الإيمان ، فكانت الجنة دار النعيم درجات أعلاها الفردوس وهي مقام الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

إننا نعتبر مقياس زيادة الإيمان من ناحية مقياساً موضوعياً وذلك حينما نجعل العمل هو المقدار والكم الذي يزداد بزيادته ، ولكن في الواقع مقياس زيادة الإيمان ونقصانه يعتمد على النسبية النفسية ؛ لأن تفاعل كمية العمل الصالح والطاعات مع الوجدان والقلب يجعل المؤمن يشعر بذلك شعوراً لا يساوره

شك فيسارع إلى العمل الصالح بمختلف أنواعه ؛ لكي يرفع درجات إيمانه ، وهو الميدان الشريف للتنافس بين المؤمنين تطبيقاً لقوله تعالى: ((سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين)) (11) ، فهذه المسألة إذن نسبية ؛ مادام لها علاقة وطيدة بالقلب وبالوجدان.
إن إيمان أهل الكلام يتصف بالجفاف ، وعدم تفاعل العقل مع القلب ولكن بالنظر إلى عدم الانفصال الموضوعي بينهما فإن إغفال هذه الخاصية لا شك أنه يبعدنا عن إدراك الحكم الموضوعي الشرعي الذي أراده صاحب العقيدة وواضعها بما بثه من نصوص الوحي التي خاطب بها الناس كافة.
ومن المفيد أيضاً في هذا الصدد أن نعرج لكي نتطرق إلى كلمة في المنهج فهناك أسئلة قد تفرضها هذه المنهجية منها السؤال الذي مفاده: لماذا ندرس العقيدة ونسعى إلى معرفتها؟ والسؤال الآخر وهو: كيف ندرس هذه العقيدة؟
والجواب الذي يناسب المنهجية الشرعية المؤسسة على منهج السلف أهل السنة والجماعة هو ما كان مدعماً بالنص الإلهي ، إننا ندرس العقيدة ونعمل على اكتساب معرفتها امتثالاً لقوله تعالى ((فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك))(12) وهذا الامتثال هو العلة التي من أجلها خلق الله الخلق جميعاً ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) (13) ، إننا إذاً نعمل على اكتساب ومعرفة العقيدة لأن ذلك أمر ، وامتثال الأمر عبادة ، والعـبــادة الخالصة هي معنى لا إله إلا الله التي أمرنا الله أن نعلمها ، من خلال ذلك فلا شك أن مـنـهـج معرفة هذه العقيدة الإلهية قد استبان واضحاً لكل ذي لب وفكر سليم وفطرة إيمانية نقـيـــة إن المنهج الواجب اتباعه في معرفة العقيدة التي ترضي الله ورسوله هو الذي يستند إلى قــــول الله ورسوله كذلك، فلا اعتقاد خارج هذين المجالين، وهذا ما اصطلح عليه بمنهج العرض، حيث تعرض العقيدة عرضاً أميناً ومن شأن ذلك أن يحافظ على إلَهية المصدر الاعتقادي الذي يتمثل في الوحي (كتاباً وسنة).
ثم إن الباحث المتخصص في الدراسات العقدية لاشك أنه يكون قد اكتسب عن طريق منهج العرض ما هو واجب عليه أمام ربه، ومن الموضوعية التي يتطلبها المنهج العلمي أن يواصل هذا الدارس المتخصص فينظر في عقائـــد الأمم من أهل الكتاب وغيرهم، ومن أهل الإسلام على اختلاف مصادرهم ومـنـاهـجـهـم الاعتقادية، ولا يكون ذلك ميسوراً إلا باتباع منهج يعتبر وسيلة وأسلوباً هو منهج النقد والرد والمقارنة، على أن يكون مقياس الحق هو النص الإلهي في الكتاب والسنة؛ من أجل ألا يوثر المنهج على المضمون الأصلي للعقيدة الإلهية . والله الموفق .

الهوامش :

(1)سورة المائدة:101.
(2)سورة الذاريات:56.
(3)سورة النحل:36.

(4)سورة الزمر:65.
(5)سورة النساء:48.
(6)سورة البقرة:255.
(7)سورة إبراهيم:10.
(8)سورة النمل:14.
(9)سورة الأعراف:172.
(10)سورة الروم:30.
(11)سورة آل عمران
(12)سورة محمد:19.
(13)سورة الذاريات:56.

مقال

وحدة الأمة: معوقات وإمكانات

د. عبدالكريم بكّار

ظلت الوحدة المحور الذي يجذب مشاعر سلفنا أهل السنة والجماعة وأنشطتهم على مدار التاريخ، بل إن اسمهم يدل على ذلك، فـهـم متوحدون على السنة، وقد ضحوا في سبيل ذلك بتضحيات كثيرة، ليس أقلها تحمل عـسـف الظـلـمـة والـطـغـاة، وكيفوا كثيراً من اجتهاداتهم على نحو يجعل وحدة الأمة واجتماع الكلمة هدفاً أسمى، وحـاجـةً ملحة، لكن ضعف الشورى وضعف الدولة المركزية في بغداد، وعدم تطوير نظام إداري قـوي مرن يحـقـق الـتـوحـيـد في جوانب، ويحفظ الخصوصيات في جوانب، وأسباب أخرى أدت جميعها إلى تفتت الخـلافة العباسية ووأدها على يد التتار عام 656 هـ، وقامت بعد مدة الخلافة العثمانية، فجمعت شمل كثير من الدول والإمارات الإسلامية مرة أخرى. ونتيجة لتآمر كبير من الخارج، وقـصور أكبر من الداخل سقطت الخلافة العثمانية، وتشتت شمل العالم الإسلامي، ووقع كثير من بلدانه في براثن الاستعمار الأوربي، الذي لم يخرج حتى شوّه كثيراً من البنى الفكرية والثقافـيـة لتلك الدول المستعمرة؛ حتى لا تختلف كثيراً بعد خروجه عما كانت عليه قبله، بل إن بعضها ازداد حاله سوءاً!.

لكن على الرغم من كل ما حصل ظـلـت أشواق الوحدة تضطرم في النفوس، وظلت الأبصار مشدودة نحو مستقبل لأمة الإسلام، يـسـوده الوئام والتناصر، ومع كل صدع يصيب كيان هذه الأمة على أي مستوى كانت تتصدع قلوب كثير من المخلصين الغيورين.

فما هي العوائق التي مازالت تحول دون أي شـكـل واسـع ذي قيمة من أشكال الوحدة، والتنسيق بين دول وشعوب العالم الإسلامي؟

نحن ننظر ابتداء إلى أن عقيدة التوحيد قادرة على جعل مـن يؤمن بها أمةً من دون الناس يحكمها منهج واحد، وتنتهي إلى غايات واحدة، كما أن تـلـك العقـيـدة بـمــا يتبعها من أحكام ونظم تحدد أشكال التعامل بين هذه الأمة وبين غيرها من الأمم، وهذا كله يجعل تحقيق شكل من أشكال الوحدة بين شعوب العالم الإسلامي أمراً طبيعياً بدهياً، ولا سيما أن غير المسلمين ينظرون إليهم على أن لهم من التجانس والتميز ما يجعلهم جـمـيـعـاً في خندق واحد.
والعالم الغربـي يـسـيــر الـيـوم بسـرعة مدهشة نحو اعتبار كل المسلمين مهما تكن درجة التزامهم أصوليين متطرفين معادين!.
وإذا كان الأمر كذلك فإن بروز أشكال من التعاون والتوحد بين الشعوب والدول الإسلامية قد يكون مرهوناً إلى حد بعيد بنضوج الصحوة الإسلامية المباركة وانتشارها وتمكنها، لكن هناك من العوائق والصعوبات ما يجب تذليله أو التخفيف من غلوائه قبل أن نتمكن من تحقيق ما نريد، ولعلنا نوجز فيما يلي أهم تلك العقبات:
1- إن حالة السكون والركود التي يعيشها كثير من شعوب العالم الإسلامي ستنتج دائماً التفكك والتمزق، فالانطلاق الراشد يؤمّن ترابطاً عجيباً بين سائر بُنَى الأمة ومؤسساتها، حيث تتمكن الأمة من حل كثير من المشكلات كما أنها لا تتوهم العناء حينئذ من مشكلات لا وجود لها.
2- هناك علاقة حساسة بين الوحدة والحرية قد تصل إلى حد التضاد في بعض الأحيان، مع أن كلاً منهما يؤمّن حاجات أساسـيــــة للفرد والأمة، فالوحدة قيود قد تصادر بعض الحريات، وتستلب شيئاً من المكاسب، وهذا على كل المستويات، والناس حين يتحملون أعباء الوحدة وقيودها إنما يفعلون ذلك لما توفـــــره من حاجات ومصالح، ولما تدفعه من مخاطر التشرذم، فإذا أحس متحدان (شعبان أو شخصـــــان) أن أعباء الوحدة أكبر من منافعها صاروا جميعاً إلى التخلص منها، مهما تكن العواطف قوية نحوها! وهذا هو أكبر سبب أدى ويؤدي إلى الانفصال بين الدول والجماعات على مدار التاريخ (وهذا هو السبب الذي يؤدي إلى الطلاق بين الزوجين)، وهذا يعني أن تفكـيــــراً عميقاً ودراسات مستفيضة ينبغي أن تسبق كل شكل من أشكال التوحد ؛ حتى لا يصـبــح ذلك الـهــدف الكبير من أهداف الأمة حقلاً للتجارب المخفقة.
3- تتطلب الوحدة الإسلامية بروز قدرة حسنة على (التكيف) عند أفراد الأمة ؛ إذ إن الوحدة تتطلب التنازل عما هو هامشي وصغير ومؤقت في سبيل تحقيق ما هو أساسي وكبير ودائم، وهذا يتطلب وعياً تاماً بمكاسب الوحدة وتكاليفها بل إن الأمر يتطلب في بعض الأحيان موقف تضحية من قبل بعض الشعوب والجماعات كما يضحي الشهيد بحياته، ويتنازل عنها في سبيل نصرة دينه ورفعة أمته، ولن يقدم على هذه التضحية إلا المؤمن الذي تمكن الإيمان من

قلبه؛ فالفهم العميق والإيمان المكين شرطان لابد منهما لحصول ذلك، والنقص فيهما أو في أحدهما قد يؤدي إلى تصارع فئتين دعواهما واحدة.
4- الفوارق الاقتصادية الكبرى بين كثير من شعوب العالم الإسلامي تجعل تحقيق الوحدة أمراً غير يسير، ويذكر في هذا السياق أن التبادل التجاري بين الدول الإسلامية لا يتجاوز 4% من مجمل تجارتها، أما ال 96% فهو مع دول غير إسلامية، وسبب ذلك أن الغرب ظل على مدار ثلاثة قرون يكيف حاجات الشعوب الإسلامية مع فوائض إنتاجه ؛حتى لا يجد المسلم شيئاً من حاجاته إلا في الغرب، أو في بلدان استوردته من الغرب!.
5- على الصعيد الثقافي ذي الأثر الخطير في العلاقات بين الشعوب نلاحظ أن أكثر مناطق العالم الإسلامي هي مراكز لاجتياح العواصف والأعاصير الثقافية، فهذا بلد متأثر ببلد مجاور له غير مسلم، وهذا متأثر بمن استعمره، وآخر بمن أرسل إليه البعثات... وهكذا. والوحدة حين تقوم لابد أن ترتكز على عدد من الركائز التربوية والثقافية إلى جانب الركائز العقدية والاقتصادية، وهذا ما نجده ضامراً إلى حد بعيد في كثير من بلدان العالم الإسلامي.
6- يفتقد العالم الإسلامي اليوم النواة الصلبة القادرة على تبني الأطر الوحدوية وتعزيزها، والتي تمتلك في الوقت ذاته القدرات والإمكانات التي تجذب دول العالم الإسلامي وشعوبه نحوها، وإذا علمنا أن الظواهر الكبرى لا يمكن أن تنشأ إلا حول نواة تَنْشدّ إليها وتتحدد من حولها أدركنا الصعوبات التي تواجه الأعمال التوحيدية في العالم الإسلامي.
7- شهد أكثر بلدان العالم الإسلامي نشاط تيارات، وطنية، وقومية، وإقليمية نبتت لتملأ الفراغ الذي خلفه انهيار الخلافة العثمانية، وهذه التيارات أفرزت فلسفات وأدبيات تمجد الكيانات الصغيرة، وتبحث لها عن أمجاد خاصة بعيداً عن الولاء للوطن الأكبر، مما يستدعي جهوداً فكرية وأدبية وثقافية كبرى تعيد بناء العلاقة السوية بين عالمنا الإسلامي الكبير، وبين الأوطان الإقليمية التي نعيش فيها، والأعراق والأجناس التي ننحدر منها.
هذه بعض المعوقات التي تقف أمام خطوات توحيد العالم الإسلامي لكن لأن الوحدة في عمومها مطلب شرعي ومصيري فإن السعي نحو التقليل من أسباب الشتات والفرقة، وبلورة بعض الأطر والمؤسسات التوحيدية يظل هدفاً وهاجساً لكل الغيورين على هذه الأمة والمخلصين لهذا الدين.
وبما أن الحديث موجه أصلاً إلى هؤلاء، فإن بالإمكان أن نذكر بعض الإمكانات المتاحة للأفراد والهيئات الشعبية والرسمية، مما يعد تمهيداً لجمع شمل الأمة على مستوى ما، وبكيفية من الكيفيات على الوجه التالي:
1- تحتل اللغة العربية مكانة هامة بين وسائل التوحيد، ومن ثم فإن المدخل الصحيح لكل أنواع التقريب بين المسلمين هو تعميم العربية بين الشعوب الإسلامية التي لا تنطق بها باعتبارها لغة أولى ؛ إذ إن اللغة ليست وعاء فقط، لكنها وعاء ومضمون وقوالب للتفكير في آن واحد *؛ وينظر

المسلمون في بقاع الأرض إلى العربية نظرة إجلال وتقدير لكونها لغة كتابهم ونبيهم -صلى الله عليه وسلم- وتراثهـــم الروحي والثقافي، وهذا يساعد كثيراً في الإقبال على تعلمها ونشرها، ومن واجب الجماعــــات والمؤسسات والهيئات المختلفة أن تسعى لإدخال العربية إلى مناهج تلك الشعوب باعتبـارهــا لغة ثانية، كما أن من واجبها العمل على فتح المعاهد والمراكز التي تعلم العربية.
2- من واجب الجماعات والمؤسسات الإسلامية أن تسعى إلى بلورة بعض الأطر الوحدوية كالاتحادات الإسلامية مثل (اتحاد المدرسين المسلمين، واتحاد التجار المسلمين).. وهكذا، وهذا الأمر ليس باليسير إذا أدركنا أهميته، وفرغنا له الكفاءات والطاقات المطلوبة.
كما أن من المطلوب منا أن نسعى في المنطقة العربية إلى إدخال لغة إسلامية، كالتركية، أو الأردية إلى مناهج تعليمنا، حتى نقيم جسور الأخوة والتفاهم بيننا وبين إخواننا.
3- للدعاة الذين يجوبون العالم الإسلامي دور خـطـيــر فـي اكتشاف كل ما ينمي أوجه التعاون والتكامل بين بلدان العالم الإسلامي ثم الكتابة عـــن ذلك ونشره، لتتعزز معرفة المسلمين بالإمكانات التوحيدية المتاحة.
4- العالم الإسلامي بحاجة إلى عدد من مراكز المعلومات والدراسات المرموقة التي تعنى بتثقيف الناس بهموم العالم الإسلامي، والكشف عن إمكاناته الاقـتـصــادية والتجارية وغيرها ؛ بغية حث الناس على توجيه طاقاتهم وتحركاتهم نحوها.
5- فـي زماننا هذا قد يكون الاقتصاد في كثير من الأحيان هو ما تبقى من السياسة، بل إن السياسة تتجه لتتمحض لخدمة الاقتصاد، وفي هذا الصدد فإن من الحيوي لنمو الصناعات في الـعـالــم الإسلامي إقبال المسلمين على استهلاكها، وسد حاجاتهم بها، ونحن نقف في كثير مــن الأحيان من هذه المسألة الموقف المنكوس حيث ننتظر تحسن الصناعة حتى نقبل على اســتهـلاكها، مع أن من أهم سبل تنميتها وتحسينها ارتفاع مبيعاتها، ونجد في هذا الشأن أن أبـنــاء الصحوة لم يفعلوا شيئاً ذا قيمة في طريق تشجيع الـنــاس عـلـى شـ'ـــراء الـمـصـنـوعــات الإسلامية: لا عن طريق الطرح في الإطار النظري ولا عن طريق الـقـــدوة الحسنة!.
6- يتطلب توحيد العالم الإسلامي المرحلية والتدرج على مستوى المؤسسات وعلى مستوى الأقاليم، والكتل الإقليمية يمكن اعتبارها خطوات إيجابية على الـطـريـق إذا قـامـت على النهج الإسلامي، وكانت مفتوحة، تشجع الانضمام إليها، وتنمي في الوقت ذاته أدبيات (الكل) الإسلامي المنشود.
وفـي الـخـتــام فإنني أعتقد أن الطريق شاق وطويل لكنه الطريق الوحيد الذي لا مفر منه، وطريق الألف مــيـل يـبـدأ بخـطــوة، وحين يـتـوفـر الإخــلاص فـإن رحمة الله قريب من المحسنين.

الهوامش:

*ومع التسليم بأهمية اللغة العربية إلا أننا نعتقد أن (العقيدة) الحقّة المنبثقة من التوحـيـد الخـالـص هــي الخطوة الأولى لأي عمل وحدوي، وأهمية إشاعتها وتصحيحها مطلب مهم يجب البدء بـــه، وهذا ما أشار إليه الكاتب الكريم في بدايات مقاله، ولا يُعارِض ما ذكره هنا إذ إن العربية هي الوسيلة المثلى لفهم نصوص الوحي وتعلم عقيدة الإسلام.

البيان

خواطر في الدعوة

شبكة العلاقات الأخوية

محمد العبدة

ليس أغيظ للأعداء من أن يروا المسلمين المؤمنين متآلفين متآخين، وقد كان تماسك المجتمع الإسلامي الأول مما أغاظ المنافقين الحاقـديــن، وهــذا دأب أعـــــداء الإسلام في كل زمان ومكان، ولذلك مَنّ الله سبحانه وتعالى على رسوله بأن جمع قلوب المسلمين فقال: ((وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولـكـن الله ألّف بينهم إنــه عزيـز حـكـيـم)) (1) إن نظـــــرة إلى الساحة الإسلامية اليوم لابد أن ترينا ضعف العلاقات الأخوية، وما يترتب عليها من انحسار الآمال وقلة المردود.

كان رسول الله -صلى الله عـلـيـه وسـلـم- شـديــد الحرص على الأخوة بين الصحابة، لا يحب أن يعكر صفوها أو يضعفها كلمة جارحة، أو كلمة تُنقل، وقد علّم المسلمين قاعدة في العلاقات الأخوية مخافة أن تقطع، فقال: «لا يبلغني أحـــد مـنـكـم عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم سليم الصدر». ومن حرصه -صلــى الله عليه وسلم- على هذه الأخوة ما قاله لأبي بكر رضي الله عنه في كلمة بدرت منه لبـعـض الـصـحـابـة، فقد حـــدث أن مرّ أبو سفيان بن حرب بطائفة من المسلمين فيهم صهيب وبلال، فقالوا:"مـــا أخذت السيوف من عدو الله مأخذها، فقال لهم أبو بكر: أتقولون هذا لسيد قريش؟ وذكر أبو بكر ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال له: «لعلك أغضبتهم، لإن كنت أغضبتهم لقد أغضبـت ربك»، فقال لهم أبو بكر: يا إخوتي، هل أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أبا بكر".

ويعلق ابن تيمية على هذا الحديث فيقول: لأن أولئك إنما قالوا ذلك غضباً لله، لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله، والمعاداة لأعداء الله ورسوله (2).

إن حقوق الأخـــوة كثيرة، ومنها: أن لا يكون في قلب الأخ سخيمة على أخيه، ولا يفشي له سراً، ولا يُماريـــه أو ينافسه، وأن لا ينقل له قدح غيره فيه وأن يقضي حوائجه، قال بعض السلف: «إذا استقـضـيــت أخاك حاجة فلم يقضها،

فذكّره ثانية فلعله أن يكون قد نسي، فإن لم يقضها فكبّر عليه واقرأ هذه الآية ((والموتى يبعثهم الله)).
ولا يكثر من العتاب، فإن كـثــرة الـعـتــاب سـبـب للقطيعة، كما أن قلته دليل على قلة الاكتراث وكذلك الزيارة، فإن قلتها تعقب الجفوة، وتحل عقدة الإخاء.
إن تراكم الأخطاء في هذه العلاقات مما يشحن النفوس، ويوغر الصدور، ولذلك قال بعض علماء النفس المعاصرين: إن العقد النفسية ليست مـن داخل الفرد وإنما من العلاقات بين الأفراد.
فلماذا لا نحافظ على الأخوة في الله التي تذكرنا بالآخرة، والتي تخفف كثيراً من أعباء هذه الحياة الدنيا؟!

هوامش :

(1)سورة الأنفال:62.
(2)الفتاوى، 10/58.

دراسات تاريخية

تاريخنا..
بين كيد أعدائه.. وإعراض أبنائه!

د. محمد بن صامل السّلمي

التاريخ هو الوقائع والأحداث والأعمال الصادرة من الإنسان بدوافعه المختلفة.. أما معرفة الأسباب والبواعث والنتائج والربط بين الأحداث المختلفة فهو تفسير التاريخ، ويختلف التفسير للأحداث والأعمال من مــؤرخ لآخر حسب المنهج الفكري الذي يسلكه، والعقيدة التي تحركه، والمعرفة الصحيحة لسـنن الله في الأنفس والآفاق ولقضائه وقدره.
وتاريخنا الإسلامي تعرض لحملات من الكيد والتشـويـه في تزوير الوقائع والأحداث، وفي تفسيرها وتوجيهها.
فمن النوع الأول: الروايات المكذوبة التي لا أصل لها بالكـلـية، أو الأخبار التي لها أصل ولكن أضيف إليها ما ليس منها، أو أنقص منها حتى تؤدي الـغـرض المقصود من التشويه والتحريف، أو الوقائع والأخبار التي توضع في غير سياقها الصحيح.
فمن الروايات المكذوبة التي لا أصـل لها ما ذكره الطبري في تاريخـــه من رواية هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف لوط بـن يحى الأزدي في خبر المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعده، حيث ذكر أن علي بن أبي طالب في وقت المداولة في سقيفة بني ساعده: كان دائباً في جهاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم- (1) وهذا كذب لـمـخـالفته للخبر الذي أخرجه البخاري

في صحيحه من رواية مالك ومعمر من أن علي بن أبي طـالب رضي الله عنه قد لزم بيته(2)، وكذا ما ذكره من خطبة لأبي بكر في السقيفة يقول فـيـهـا مخاطباً الأنصــار: »وفيكم جلة أزواجه وأصحابه« (3)، وهو كذب إذ أن النبي -صلى الله عـلـيـه وسلم- لم يتــزوج أنصارية قط فضلاً عن أن يكون جُلّ أزواجه من الأنصار، وكذا ما نسبه لأبي عبيدة رضي الله عنه في قوله للأنصار: »يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدّل وغيّر«(4)، فقد تفرد بهذا أبو مخنف وهو رافضي كذّاب.

وكذلك نسبته خطبة للحباب بن المنذر يقول فيها: »يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مـقـالـــة هــذا وأصحابه؛ فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم، فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين (5).

ومن ذلك أيضاً الرواية المشهورة في التحكيم التي أوردها الطبري في تاريخه من رواية أبي مخنف، وفيها قوله عن عمرو بن العاص يخاطب أبا موسى الأشعري: »إنك صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنت أسن مني، فتكلم وأتكلم فكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدمه في كل شيء، قصد بذلك كله أن يقدمه فيبدأ بخلع علي«... إلى أن قال: »أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجـعــــل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا ... فقال عمرو: يا أبا موسى تقدم فتكلم، فتقدم أبو موسى فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة، فلم نرَ أصلح لأمرها، ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع علياً ومعاوية، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليـهـــم، وإني قد خلعت علياً ومعاوية... ثم تنحى، وأقبل عمرو بن العاص، فقام مقامه وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه، وأثبت صاحبي معاوية ؛ فإنه وليّ عثمان بن عفان والطالب بدمه... الخ«(6).

فهذه الرواية رغم شهرتها إلا أنها باطلة لضعف رواتها، وعدم اتصال إسنادها،ولمخالفتها للأخبار الصحيحة، فمثلاً قوله إن أبا موسى أسن من عمرو بن العاص ليس بصحيح، فقد توفي أبو موسى وعمرو في سنة واحدة وكان عمر أبي موسى ثلاثاً وستين سنة، وعمرو بن العاص يناهز التسعين فالأسن والأكبر هو عمرو بن العاص وليس أبا موسى، كما أن قوله بأنهما اتفقا على خلع علي ومعاوية غير مستقيم لعدة أمور منها:

أن موضوع النزاع ليس على الخلافة بــــل على القصاص من قتلة عثمان وأيضاً أن علياً قد بويع بيعة شرعية صحيحة، وإذا تم ذلك للخليفة فإنه لا أحد يملك خلعه إلا أن يأتي بما يوجب ذلك، ولم يرتكب علي رضي الله عنه ما يوجب خلعه من الخلافة.

وأيضا فإنه قد وردت رواية صحيحة أخــرجها البخاري في التاريخ الكبير وأخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق، تخالف هذه الرواية وهي أن الحكمين لم يتفقا على شيء محدد فيما اجتمعا له (7).

ومن الأمور أيضاً: أن معاوية لم يكن خليفة حتى يخلع، وإذا كان القصد من إمارة الشام، فإن هذا أمر لا يملك الحكمان فعله، بل هو راجــع إلــى الخليـفـة فهو الذي يولي ويعزل الولاة(8).

ومن الأخبار التي قد يكون لها أصل، ولكن أضيف إليها، وزيد عـلـيـهــا بقصد التشويه والتحريف، ما ذكره الطبري في تاريخه، قال: حُدِّثْتُ عن هشام بن محمد الكلبي قال: حدثني عوانة ابن الحكم قال: لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إني لأرى عجاجة لا يطفؤها إلا دم!! يا آل عبد مناف فيمَ أبـو بـكــــر من أموركم!! أين المستضعفان؟ أين الأذلان علي والعباس؟!وقال: أبا حسن أبسط يدك حتى أبايعك فأبى عليّ عليه فجعل يتمثل بشعر المُتَلَمّس:

ولا يـقـم عـلــى هــون يـراد بـــه لا الأذلان عـيـر الحـي والوتد

هذا على الخـسـفِ مـربـوط برمـته وذا يـُشـَجّ فـلا يبكي له أحد

قال: مزجره عليّ وقال: إنكِ والله ما أردت بهـــذا إلا الفـتنة، وإنك والله طالما بـغـيــت للإسلام شراً!! لا حاجة لنا في نصيحتك(9).

هذا الخبر له أصل، ولكنه ليس بهذه الصورة، فـقــد أخرج الحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي: أن أبا سفيان لقي علياً بعد بيعة أبي بكر فقال: »يا عليّ علامَ هذا الأمر في أقلّ من قريش؟! فقال علي: وما شأنك وهذا، إنا وجــدنـــا أبا بكر لها أهلاً، فطالما يا أبا سفيان بغيت على الإسلام وأهله«، فقد نهره علي بهذه الكلمة، وليس فيها تلـك الإضافات والزيادات الطويلة التي زادها الكلبي أو عوانة بن الحكم، وهــمـا مـــن الـــرواة الضعاف والمتهمين في عدالتهم.

ومن الأخبار التي توضع في غير سياقها حتى تؤدي غرضاً مشوشاً، أو تُبْتَر عن أسبابها، قصة ذلك الرجل المصري التي أخرجها البخاري في كتاب فضائل الصحابة من صحيحه باب فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: هو عبد الله بن عمر قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم، فقال: تعلم أنه تغيّب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال الرجل: هل تعلم أنه تغيّب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكانت مريضة، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : إن لك أجر رجل

ممن شهد بدراً وسهمه وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عثمان، وكانت بـيـعـــة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيده اليمني: هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.
فهذا الرجل كان منحرفاً على عثمان، وقد صورت له الأمور على غير صورتها وذكرت له بعض الأعمال التي فُصِلت عن أسبابها فتصور من ذلك حصول النقص والتقصير من عثمان رضي الله عنه، ولذلك انتبه ابن عمر لقصده وبيّن له الأسباب الموجبة لهذه الأفعال، وقرن كل مسألة بعذر عثمان فيها ثم قال له: الآن اذهب بها معك، فقد وضح الأمر وتبين عذر عثمان بن عفان رضي الله عنه.
ومن النوع الثاني: تفسير الأحداث وتوجـيـهـهـا حسب الأهواء والمعتقدات، وهو الميدان الكبير الذي عاث فيه الحاقدون على هذا الدين وأهله قديماً وحديثاً وبخاصة المستشرقون ومن تتلمذ عليهم وتأثر بهم، ومن انحرف فهمه ولـم يرجـــع إلى أصول عقيدته ودينه، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً سواءً على الأفراد أو الدول أو الـمـفـاهـيـــم والموضوعات الإسلامية.
فمثلاً: حركة الرّدة التي وقعت بعد وفــاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- تفسر من قبل الرافضة بأنها خروج على سـلـطـــان أبي بكر، وليست خروجاً من الدين والسبب كما يقولون: أنهم لم يجدو الإمام الحق بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولذلك لم يطيعوا وينقادوا لأبي بكر.
وتفسر في الدوائر الاستشـــراقية بأنها عصيان مدني على السلطة الحكومية ولا علاقة لها بالدين، ويتابعهم بعض القوميين العرب على هذا التفسير حتى لا يوصم العرب بهذا العار الذي هو الردة، وكـــذلك حركة الجهاد والفتوح تفَسّر بتفسيرات غريبة وبعيدة في الواقع عن الجهاد وواقـــع المجاهدين المسلمين وهدفهم الواضح، وهو إعلاء كلمة الله، وإدخال الناس فـي ديـن الله، فنجد من يفسر حركة الجهاد بأنها حركة طبيعية، فطالما خرجت هـجـــرات من الجزيرة العربية لطلب الرزق وسعة العيش في بلاد الهلال الخصيب، لأن طبيعة الصحراء العربية طاردة للسكان، كما تفسّر بأنها استرداد لملك السامـيـيـن الــذين يرجع العرب إليهم، أو أنها طلبُ للملك والسلطان، أو أنها استنقاذ للقبائل العربية التي كانت قـاطـنـــة فـي تلك المناطق وتخضع للرومان أو الفرس.. إلى غير ذلك من التبريرات والتفسيرات التي لا تمت إلى واقع المجاهدين المسلمين بشيء وإنما هي تصورات نابعة من فكر وتصور الكاتب والـبـاحـــث، وبحسب ما يرى من أغراض الناس وأهوائهم وشهواتهم المتعددة التي لا تنضبط ولا تنـحـصـر، أمـــا الـمـسلم الملتزم بشريعته فإن

حركاته وأعماله وأهدافه محكومة بالشريعة الربانية ومتابعة لما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-.
وإن تاريخنا الإسلامي بحاجة إلى رجال أمناء حريصين على تاريخ أمتهم ويعرفون خطط أعدائهم وكيدهم المستمر، ويتلقون العلم من مصادره الصحيحة والمأمونة، ويتبعون في البحث والتحقيق منهجاً علمياً رصيناً، ولا يقبلون قولاً بغير دليل، ويفحصون كل ما يقدم لهم ؛ حتى لا يقعوا فريسة لكيد أعدائهم.
وأسأل الله أن يقيّض لهذا العلم من يخدمه، ويزيل عنه الغبش والتشويش، ويخرجه في صورة بيضاء ناصعة، كما هو الواقع الحقيقي لتاريخ أمتنا، وخاصة الصدر الأول والقرون المفضلة.

الهوامش :

(1)تاريخ الأمم والملوك (3/218219).
(2)صحيح البخاري (8/8687).
(3)تاريخ الأمم والملوك (3/220).
(4)المصدر نفسه (3/221).
(5)المصدر نفسه (3/220).
(6)المصدر نفسه (3/71).
(7)التاريخ الكبير للبخاري (5/398).
(8)يراجع كتاب مرويات أبي محنف في تاريخ الطبري، د. يحيى إبراهيم اليحيى.
(9)تاريخ الأمم والملوك (3/209).

نصوص شعرية

ألمْ يَأنِ أنْ نصحو؟!

د. محمد بن ظافر الشهري

عجبتُ لنا مهما يحيقُ بنا نَسلُو ولو سُلِبَتْ أرضٌ ولو هَلَكَ النسلُ
ولو هتكَ الأوغادُ سترَ حريمنا ولو هُدِمَ الأقصى ولو طُرِدَ الأهلُ
ولو رسموا أمراً بلبس صليبهمْ وقرعِ نواقيسِ الكنيسةِ لم نَألُ!
كمثل غثاء السيل »مليارُ« مسلمٍ كما بَيّنَ المختارُ ذلك من قبلُ

أرى أمةَ الإسلام قد طال نومُها قد افترشتْ ذلاً وألحفها ذلّ
ولمّا تُحرّكها مصيبةُ طاجكٍ ولا نكبةُ البشناقِ إذ فَحُشَ القتلُ
ولا غصةُ العذراء هَدّمَ خدرها وأسلمَها للعارِ راغمةً نذل
تحاول أن تنسى ليرقأَ دمعُها ولو أنها تنسى لذكّرَها الحَمْلُ!
مصائبنا تترى فكل مصيبةٍ على نائباتِ الدهرِ من قبلها تَعلو

ولـم تـُنـسـنـا كابولُ قـصةَ قدسـنـــا وجاءت سرايِيفو فأضحى بها الشغلُ!
ذِهِلنَا فلم نـفـطــن لـنــظــرتـهــم لها وكـم زلـةٍ لـلـعــيـنِ تـتـبـعـها الرّجلُ
فـعـاث بها الأعداءُ كـيــف بــدا لهمْ وقـد فـعـلـوا ما لا يـصـدقـه عـقـــلُ
ودكّ بـيــوتَ اللــه أكــفـرُكـافـــرٍ لـه الـويـلُ والـزقـومُ والنـارُ والـمُهلُ
قــد استنصـرَ البشناقُ أبـنـاءَ ديـنـهمْ فـكـان جوابَ »القـوم« حاصلُه الخَذْلُ!
ولـمـا رأينا الحرب قد طال أمرهـــا وأكـثـِرت الـشـكـوى وألحفَت الرّسْلُ
»أمـَرْنا« جميع الـغرب أن يأخذوا على يـد الـفـيـلــق الباغي وإلاّ لهُ الويلُ!
تـضـاحكَ أهلُ الشرق والغرب عندما نطقنا وقد يُـزري بـقـائـلــه القـــولُ
نـهــددهـمْ بالـعــزم فاسـتـهـــزؤا بنا فـهـزلـُهـُمُ عـزمٌ وعـَزْمـَتـُنـا هَزْلُ!!
وقـالــوا لنا كفوا عن الجهل واصبروا فمشكلةُ الـبـشـنــاقِ أنشأها الجهلُ!
لـقـد خـَبرَ الـكـفــارُ قـلــةَ فـعـلـنـــا ومـــا قيمةُ الأقوالِ يخذلها الفعلُ؟!
فـعـدنــا إلى الـبـشـنـاق نحمل خُبزَنا وماذا عسى يغني عن الميتِ الأكلُ؟!
عـَهـدْنــا إلى »غـالـــي« بجــود نـفوسنا فَتـَوّلـَـهُ الـبــاغـي علــى أنه جُعْلُ
هـُمُ طلـبـوا جـيـشـاً يـرابــط عندهمْ ومـطــلـبـهم قـوسٌ ومـطـلــبهم نبلُ
لـقـد عـقـد الكرواتُ والصربُ حلفهم لحصرِ بني الإسلامِ كي يُحكمَ القفلُ
أرى النهـرَ لا يـجـري إذا جَفّ نبعُهُ ولا يـضـربُ الـبـتّـارُ إن كُسِرَ النّصْلُ
ولـكـــنّ أشـبـالاً بـبـسـنــَةَ لـم تـــزل تُـبـاسـِلُ أوبـاشـاً ولا يـيــأسُ الشّبْلُ
ألا ذَكــــَرَ الـبـاغــونَ مـوكــبَ فتحنا غـــداةَ هـزمـنـاهــم يـرافـقـنـا العدلُ
سـيـشـهــدُ أطـفــالٌ وشـيـبٌ ونـســوةٌ بفـضـل بني قومي وهل يُنكَرُ الفضلُ؟
ظـهــرنــا فـلـم نهدم بـنـاءَ كـنـيـسةٍ فـإن سـيــوفَ اللــه شـيـمـتـُها النّبلُ
إذا بـرز المـقــدامُ نـطـعـمـــه الـــردى ونـخـجـلُ أن يـُـردَى بأسيافنا الفَسلُ
وذلك لمــّا كــان يـَحـكـُم شـرعـُنـــا إذا قــال في أمـــرٍ فـقــولـتـُه الـفـصـلُ
فـلـمــا تحـاكـمـنـا إلى شرع غـيرنـــا وصــار إلى أعـدائـنــا الـعـقـدُ والحـَلّ
تمـكــن جـنــد الـكـفـر من رأس أمرنا وكــان لـنــا مــن أمـــر أمـتـنــا الذيلُ
ومـهـمـا يـسـوءُ الحـالُ فـالفـألُ طيبٌ فـإنّ رسـول اللــه يـعـجـبـه الــفـألُ
لـقــد آنَ أن نـصـحـوا فـقد طَالَ فجرُنا علـــى لـيـلـنــا البالي ولن يَثبُتَ الليلُ
وهــا نحــن قـد عـــدنا إلى ديننا الذي عـلـــى صـفـحة الحدباء ليس له مثلُ
تـَخـِذْنــا مـن الـوحـيـين منهـجَ دعوةٍ نبلـغـهـــا بـبـضــاءَ مـنـطـقـهـا جَزلُ
فـإن نالنــا الإيــذاءُ فـالـصـبـر زادنــا وكــل الــذي نـلـقـاه من أجلها سهلُ
فـــإنّ الــذي ربــاهُ ديـــنُ مـحـمـــدٍ إذ قـيــل جـُدْ بالنفس طابَ له البذلُ
سـنـنـشــرُ نـورَ الـديــن في كــل بـقـعةٍ ليـسـفــرَ مـن أقـبــاسه الوعرُ والسهلُ
ونحـمــل رايـــات الهــدايــة لـلــورى فــإن هـلـكَ الآبــاءُ يحـمـلـها النّجْلُ

متابعات

قراءة نقدية

د. عبدالرحمن بن صالح العشماوي

أعترف بدءاً أنني أخضع لمزاجية عجيبة في الكتابة النثرية، حيث تمر بي فترات طويلة وأنا أتهيأ للكتابة في موضوع ما من موضـوعـات الثقافة والأدب دون أن أتمكن من البدء في الكتابة فعلاً، فإذا تجاوزت هذه المرحلـــة وكـتـبت تعاملت مع الموضوع أو القضية تعامل الباحث الحريص على توثيق معلوماته فالحمـد لله الـــذي جعل هذه الإيجابية تقابل تلك السلبية، ولله في خلقه شؤون.

أذكر هذا لأقدم عذراً عن الأخوة في مجلة البيان إلى الأخوة والأخوات قراء هذه المجلة ؛ إذ أنني وعدتهم حينما عرضوا عليّ الكتابة الـنـقـديـــة لـمـا نشر من أعمال أدبية نقدية وإبداعية في أربعة أعداد من المجلة، وعدتهم بالكتابة، ثم مررت بتلك المزاجية المزعجة التي تنشأ أثناءها وحشة بين يدي وقلمي، حتى إذا شارف هـــذا الـمـلـحق الأدبي على الصدور وتوالت اتصالات الأخوة بي لإنجاز ما وعدتهم، يسّر الله لي اقتحـــام حاجز تلك المزاجية فكتبت هذه الدراسة على عجلة من أمري، وإنما أعتذر هنا عن مجلة البيان ليعلم الأخوة أنني السبب المباشر في حرمانـهـم من دراسة نقديـــة أعمق وأشمل كان بالإمكان أن يكتبها غيري من النقاد الإسلاميين المقتدرين.

حينما قرأت البيان الأدبي في عدد (67) الصادر في شهر ربيع الأول 1414هـ 9/1993م، واجهت أول موضوع فيه بعنوان »نحو شعر إسلامي مبدع« للأسـتـاذ إبـراهـيـم بـن مـنصـور الـتـركي، وبعد قراءة متأنية لهذا الموضوع برزت أمامي صعوبة كتابة هذه الدراسة النقدية التي يُفـتــرض فيها أن تتناول ما نشر من أدب في أربعة أعداد من مجلة البيان، ذلك لأن مـوضـوع »نحــو شعر إسلامي مبدع« يحتاج إلى وقفات مع عدد من القضايا التي تثار بصورة مستمـــرة في الـمـنتديات واللقاءات الأدبية وعلى صفحات المجلات، بل وفي بعض الكتب والدراسات النقدية، وهذه الوقفات كفيلة مع الاختصار أن تذهب بالمساحة المخصصة لهذه الدراسة النقدية، أو أن تذهب بجهد الكاتب وفورة نشاطه،فما يبقى بعد ذلك للموضوعات الأخرى مجالٌ أو نصيب من هذه الـدراســـــة، وهذا ما جعلني أفكر في أمر هذه الدراسة النقدية ثم أصل بعد هذا التفكير إلى اقتراح أطـرحـــــه أمام الأخوة في مجلة »البيان« لعلهم ينفذونه، وهو: أن يقوم بهذه الدراسة النقدية عدد مــن الدارسين يختص كل واحد منهم بدراسة الإبداع الأدبي في عدد من أعداد المجلة، وفي هـــذا إتاحة الفرصة لعدد أكبر من الـنـقـــاد، كما أن فيه تنويعاً في الدراسات النقدية، وإثراءً للمـلـف الأدبي وتسهيلاً عـلـى الناقد، فآمل أن يعمل بذلك مستقبلاً .

وأقول للأخوة والأخوات: إنني لن أستطيع أن أدرس هنا النصوص الأدبية شعراً ونثراً ولا الدراسات النقدية التي نشرت في الأعداد الأربـعـــة الماضية من مجلة البيان، وذلك لعدم إمكانية إنجاز هذه الدراسة الشاملة ونشرها في مساحة محدودة ووقت محدود.
ولربما اقتصرت دراستي هذه على مناقشة بعض القضايا التي وردت في المقال النقدي الذي أشرت إليه سابقاً »نحو شعر إسلامي مبدع«، فأقول وبالله التوفيق :
إنني أولاً أحتفل احتفالاً نفسياً كبيراً بكل دراسة نقــديـــة إســـلامية أراها، لأن الأدب الإسلامي بحاجة ماسة إلى الدراسات النقدية الجادة التي تتصف بالموضوعية القائمة على رؤية فنية شمولية وتصور إسلامي نزيه والإبداع الإسلامي في مجـــال الأدب نثره وشعره غزير غزارة المشاعر الإسلامية التي تملأ نفوس المسلمين في هذا العـصـــر، ولكن المواكبة النقدية لهذا الإبداع ماتزال قاصرة عن دراسته وغربلته وتقديمه للناس أدباً بديعاً يرتقي بالأذواق ويحرك المشاعر، ويحقق المتعة، ويؤدي الرسالة.
وقد سرني ما ورد في هذه الدراسة النقدية التي نحن بصدد الحديث عنـهــا من إشارات فنية لها قيمتها في مجال الدراسات الأدبية، كما سرني ما أشار إليه الكاتب من ضرورة وجود رؤية إسلامية في الأدب تطهر الساحة الثقافية التي »ثملت من ماء الفـكـــر الآسن المتلوث بمعميات العلمانية والقومية والعقلانية والتنوير وما أشبهها«.
ولكن هذه الدراسة وقعت فيما تقع فيه كثير من الدراسات النقدية المستعجلة من أحكام عامة، ومن اعتماد على بعض الآراء النقدية الشائعة حول فنية النص الأدبي وجماليته ومـــدى مشروعية المنفعة في النص الأدبي، وتعارض هذه المنفعة مع »المتعة الفنية« الـتـي يحققها الأدب لقرائه.
ويحسن بنا أن نرتب القضايا التي وردت في هذه الدراسة ترتيباً يتيح لنا أن نناقشها مناقشة موضوعية نافعة:
1- قضية الفهم الناقص لإسلامية الأدب، وقد كان الكاتب على حق فيما ذكره من القراءات الخاطئة عند بعض نقاد الأدب الإسلامي، تلك القراءات التي اضطربت بسببها الأحكام النقدية التي أُطلقت على بعض الأعمال الأدبية، فالحق أن مسرحية »أهل الكهف« لا تمت إلى إسلامية التصور بصلة، ولا تتصل بالأدب الإسلامي بسبب من الأسباب وإن كانت تحمل اسم سورة من سور القرآن الكريم، وتُشير إلى قصة وردت موجزة في بعض آياته، وما قيل عن هذه المسرحية يقال عن المسرحية الشعرية »مأساة الحلاج« التي كتبها الشاعر الماركسي صلاح عبدالصبور ولكن هذه القراءات الخاطئة لا تعني اضطراب التصور الإسلامي في الأدب في ذاته، وإنما اضطراب التصور في ذهن بعض النقاد، على أن هذا الاضطراب قد بدأ يتلاشى بعد أن حظيت الرؤية

الإسلامية في الأدب بعدد لا بأس به من الدراسات النقدية الجادة، والحوارات الهادفة.
2- قضية فنية الأدب وجماليته وعلاقة ذلك بالمنفعة، أو بالهدف الخلقي وهنا بدأ يضطرب قلم الأخ إبراهيم، حيث جنح إلى التعميم بصورة أفقدت دراسته في هذه النقطة قيمتها النقدية، وقد بدأ هذا الاضطراب بقوله: »إذ لازال بعض من منظري الأدب الإسلامي ومطبقيه يصر على تكبيل الشعر والحد من قدراته الجمالية، تارة بإلباسه عباءة الهدف الأخلاقي، أو سربلته تارة أخرى في ثياب المكاسب النفعية المجردة«. وهذا الكلام بعيد عن حقيقة العلاقة بين جمالية النص الأدبي ونفعيته فهو متأثر بتلك الأحكام النقدية العامة التي تُطلق من أصحاب نظرة »أدبية الأدب« أو »شعرية الشعر«، أو قبل ذلك جماعة الفن للفن، وهذا التأثر المقصود أو غير المقصود نقصٌ كبير يحدث خللاً في دراسة الناقد الإسلامي الذي يتصدى لدراسة النصوص الأدبية دراسة نقدية إسلامية وما كنت أظن أن الكاتب سيقف هذه الوقفة المضطربة عند »غائية الأدب« ونفعيته، فالمسألة عندنا واضحة لا تحتاج إلى أن ننقل بعض العبارات البعيدة عن حقيقة التصور الإسلامي في الأدب، فقول الأخ إبراهيم: »أرى أن الفن بكل مفرداته ليس إلا عملاً غائياً ينتهي عند تحقيق الإمتاع المشروع«، إنما هي الشنشنة التي نعرفها من دعاة الفنية الخالصة في العمل الأدبي، الذين يرون أن غاية الأدب تحقيق المتعة الفنية »لأن الفن الخالص هو الذي يرفعنا إلى السعادة والمعرفة« على حد قول إدجار ألن بو.(1)
إن الاضطراب في هذه القضية ينشأ من عدم الإدراك الواعي لمعنى غائية الأدب الإسلامي، تلك الغائية التي لا تدعو إلى الحد من قدرات النص الجمالية والتي لا ترى أن »عباءة الأخلاق« تحول بين الشاعر والإبداع الفني، ولا نريد أن ندخل في متاهات فلسفة الجمال وما يسمى بالإمتاع المشروع ؛ لأن ذلك سيفتح أمامنا نوافذ أسئلة كثيرة لا يتسع لها المقام هنا.
ولقد دفع هذا الاضطراب في الفهم الكاتب إلى أن يفصل بين الهدف الأخروي والهدف الدنيوي، وذلك أمر عجيب، فإن النص الأدبي الذي يحقق هدفاً أخروياً، إنما يحققه لما يحمله من هدف فيه منفعة عاجلة في الدنيا تكون هي السبيل إلى تحقيق الهدف الأخروي، إن الشاعر الذي يجعل جمالية النص الشعري وسيلة نحو هدف خلقي أو فكري أو إصلاحي شامل، هو الشاعر الذي يحقق غائية الأدب الإسلامي التي ندعو إليها، ولا أدري كيف يخطر بالبال أن أدبية النص لا تتحقق بشكلها الراقي إلا عندما يتجرد النص من النفعية، وقد كرر الكاتب كلمة »المكاسب النفعية« وهي كلمة عامة هنا تحتاج إلى بيان، فإن كان المقصود بها المنافع الشخصية التي يحصر الشاعر أو الأديب نفسه في إطارها، فهذه مسألة لها حديث آخر، فإن الأدب الإسلامي بتصوره الشامل لا يقبل أن تطغى هذه المنافع الشخصية على جمالية النص وإبداعه، بل إن هذه المنافع تقضي على القيمة الأدبية والمعنوية للنص، وإذا كان المقصود

بالمكاسب النفعية الأهداف العظمى التي يرمي إليها الأديب من وراء أدبه، فإن هذه الأهداف هي التي تتعانق مع الجانب الفني في النص لإعطائه القيمة الأدبية. وهذه القضية دار فيها الحوار بين النقاد واختلفت فيها الآراء »فما مفهوم الجمال؟ وكيف يدرك؟ وما المقاييس التي ينضبط بها؟ وما نظرياته؟ وما فلسفته..؟«. لا شك أن الاختلاف في تفسير هذه المفاهيم راجع إلى تعارض المذاهب واختلافها وخاصة أن هذا العلم حديث لا يمكن إخضاعه للمناهج العلمية«.(2)

ومن هنا كان من الخطأ في دراسة الأخ إبراهيم أن يفرض رأيه على القضية فيحكم بأن نفعية النص الأدبي وغائيته عائقٌ من عوائق الفنية والجمالية فيه، مع أن الرأي الأصوب أن النص الأدبي يرقى إلى درجة النضج الفني عندما تنسجم جماليته مع نفعيته فلا تجني إحداهما على الأخرى ؛ والمتعة الفنية ليست هي الهدف الأساسي في النص الأدبي، وإنما هي وسيلة تجعل للنص الأدبي قيمة خاصة عند المتلقي ؛ لتصل من خلاله الرسالة التي يهدف إليها الأديب.

فإذا كان »كانت« يرى أن للجمال بنية ذاتية في الفن، وأن جمال الفن يكمن في هذه البنية الفنية دون النظر إلى المضمون والغاية«(3)، فإن »ديدرو »يرى أن تصور الفضائل محبوبة والرذائل مذمومة هو واجب كل إنسان كريم ؛ فبين الحق والخير والجمال وشائج، فيصير الحق جميلاً والخير جميلاً والصبر جميلاً والنافع جميلاً«.(4)

بل إن »تولستوي« يؤكد أن الفن »يستطيع أن يقدم النفع للبشرية بمقدار ما تقدمه أي وسيلة توصيل أخرى تكون نشطة في نفع البشر«.(5)

إن هذه الآراء التي صدرت من أدباء ونقاد بعيدين عن التصور الإسلامي تؤكد أن القضية عندهم داخلة في دائرة الاختلاف، وما استشهدت بهذه الآراء إلا لأذكر الأخ إبراهيم أن »نفعية الأدب« بمعنى »تحقيقه لغايات سامية« في الرؤية الإسلامية ليست بدعاً من القول، ولم يختص الأدباء الإسلاميون بطرحها، بل إنها قضية الفن بعامة والأدب بخاصة عند كل الأمم، وأحب أن أقول له: إن هذه الغائية ليست هي السبب في ضعف الجانب الفني في النص الأدبي، وإنما هي سبب من أسباب قوة هذا الجانب إذا توافر عليها أديب مبدع.

3- قضية التقريرية والوضوح والخطابية التي سماها الكاتب »إثماً« وإنما الإثم أن نطرح الموضوعية ونلقي بها جانباً، ومسألة التقريرية والوضوح والخطابية مسألة واضحة لا أدري متى يقف فيها الذين يثيرونها عند حد معقول، فالوضوح والخطابية والتقريرية أمور نسبية لا تُعد في ذاتها عيباً، ولا يصح أن تُسمى إثماً وإنما تعاب عندما تتعارض مع فنية النص الأدبي، أو تأتي بصورة فجّة خالية من روح الأدب وروعة تصويره وحسبنا هذا القول في هذه القضية فهي واضحة لا تحتاج إلى بيان.

4- قضية »الوحدة العضوية« في القصيدة الإسلامية: وقد عجبت لما ذهب إليه الكاتب من وجوب التخطيط والإعداد المسبق للقصيدة وكأنه لايعرف معنى الشعر وكيف يكون، إن تشرذم القصيدة وشتاتها مرفوض، بل إن انضمام أبيات القصيدة إلى بعضها وتعانقها في أداء معنى عام سمة بارزة من سمات الشعر الإسلامي الجيد، وقد استشهد الكاتب بكلام للشاعر المبدع »محمود مفلح« قال فيه: »إنه لا يهندس القصيدة ولا يجلس لها ولا يستجديها«، وعد الكاتب هذا القول دليلاً على فقدان التلاحم في الشعر الإسلامي، وهذا أمر عجيب، فالشاعر محمود مفلح من أبرز الشعراء الإسلاميين، وأقدرهم على كتابة القصيدة الرائعة المتلاحمة فنياً ومضموناً، ومع ذلك فهو صادق فيما قاله من عدم هندسته للقصيدة، ولا علاقة بين هذا أبداً وبين تشرذم القصيدة وتشتتها، ولعل الكاتب قد خلط بين ما يصنعه الشاعر وما يجب أن يصنعه القاص أو الكاتب المسرحي، وشتان بين الأمرين.
5- قضية الشعر الحر: والذي أعرفه أن أكثر الشعراء والنقاد الإسلاميين يتقبلون التجديد الإيقاعي بل ويكتبون قصائد تفعيلية رائعة، ويعجبون بالجيد من هذا الشعر، وليس الشعر »الموزون المقفى« عيباً بل هو ميزة كبرى إذا توافر له شعراء مبدعون، وقد أشار الكاتب إلى ذلك ولكنه وقع في تعميم آخر وما أكثر التعميمات عند الأخ إبراهيم حتى إني لأخشى عليه أن يغرق في بحر من التعميم لا شاطئ له ويبدو أنه يعاني من »جاهزية« الفكرة والرأي والموقف، ومن خلال هذه الجاهزية كان له موقفه التعميمي من الشعر الإسلامي، الذي أخذ يردد من خلاله ما يردده »الآخرون« من عبارات »الجمود الشكلي والجمود الدلالي والتسطيح« وغيرها، وربط ربطاً غريباً بين المعاني المستهلكة في شعر الغزل من وصف الخدود والقدود وصفاً مكرراً وبين المعاني التي تدور في أكثر نماذج الشعر الإسلامي المعاصر، حول اغتصاب أنثى: وتيتم طفل وإبادة الرجال والشيوخ، وعدّ هذه المعاني مستهلكة وشبهها بقصيدة أبي البقاء الرندي الباكية الحزينة. وأقول للأخ إبراهيم: قاتل الله النظرة الجزئية القاصرة إلى الأدب، كم تجني على آراء صاحبها، فشتان بين المعاني المستهلكة في الغزل، والمعاني المكررة في شعر القضايا الإسلامية المعاصرة، إنك تدعو إلى أن يغتال الشاعر لحظة التفاعل عنده، حتى يحقق لك رغبتك في كتابة قصيدة قائمة على »رسم هندسي« وتخطيط قائم على التتابع المنطقي على حسب قولك إنك تصادر رأي غيرك وهذا أمر خطير، ولا أريد لموهبة نقدية مثل مـوهـبـتك أن تموت في بوتقة »الجمالية الخالصة« التي تدعو إليها، إني أقرأ شعر المتنبي الذي يـدور فـي مجمـلــه حول قضية واحدة ألا وهي شعور المتنبي بالعظمة الذي يبـرز فــي كل قصيدة يكتبها تقريباً، ومع ذلك فإن المتعة الأدبية تتحقق، وتشعر بالتجدد في هذا التكرار، وكذلك أقرأ ديوان محمود مفلح »حكاية الشال الفلسطيني« وديوانه الآخــــر »شموخاً أيتها المآذن« ومعظم قصائدهما عن فلسطين، فأجد المتعة الفنية

بالـرغـــم من تكرار الحديث عن القضية ثم من الذي قال إن الشعر الإسلامي ينحصر في الشعر المأساوي؟! إن دواوين الشعراء الإسلاميين تزخر بالشعر الوجداني، وشعر الغــــزل العفيف، وما عليك إلا أن تتصفح دواوينهم وتتابع إنتاجهم لترى الحقيقة التـي تـصـفـع التعميم وتُحرق أثواب العبارات النقدية الفضفاضة.(6)
ومع كل ذلك فإني أرى فيك شخصية ناقد، آمل أن تستقر على أرض صـلـبــة من الرؤية النقدية الموضوعية، وما أحوج الأدب الإسلامي إلى دراسات نقدية تتناول نصوصه الشعرية والنثرية بالدراسة بدلاً من الدراسات القائمة على ترديد مصـطـلـحـــات وعبارات نقدية تحتاج إلى تمحيص، والله المستعان.
وأقول أخيراً، إن في العدد (67) من مجلة »البيان« قصيدة من شعر التفعيلة للدكتور محمد بن ظافر الشهري بعنوان »برقية إلى بيقوفيتش« تتميز بإيقاعها الجميل، وتقوم على أسلوب الرسالة المباشرة من الشاعر إلى الرئيس (علي عزت) رئيس البوسنة والهرسك، كما أنها تعتمد أسلوب التداعي »تداعي الصورة والفكرة«، وقد أكسبها هذا التداعي تسلسلاً في طرح المعاني التي أراد الشاعر طرحها، مع مزاوجة بين الجدية المتمثلة في تعبير الشاعر عن الصلة الإسلامية القوية بينه وبين الرئيس البوسني، والسخرية المتمثلة في الحديث عن موقف العالم الإسلامي السلبي:
»خذ منا شجباً !
خذ تنديداً..
وخطاباً معتدل اللهجةْ.
سيقولون:
أطلب منا ما يطلبه المستمعون«.
وإذا كان التداعي قد أكسب القصيدة التسلسل فإنه قد أوقعها في مشكلة اللهجة العادية في الحوار وكأن الشاعر يتحدث إلى الرئيس البوسنوي مشافهة في زيارة شخصية:
»أعْلِنْهَا حرباً من أجل اللهْ
صدقني.. لن تخسر شيئاً يذكرْ
فسياستهم لن تتغيرْ«.
ومع ذلك ففي القصيدة إضاءات فنية تستحق الإشادة، فـتـحـية للشاعر الدكتور محمد بن ظافر الشهري.
أما مقال الأخت: نورة السعد بعنوان »الإفك الثقافي والأدبي«، فقد كان بمثابة الصرخة التي تطلقها فتاة مسلمة تريد أن ترقى بذوقها الأدبي وأن يتــاح لها الاطلاع على نماذج الأدب الإسلامي التي حالت دونها وسائل النشر المختلفة الـمـنشغلة بنشر نماذج الآداب العالمية غثها وسمينها، والتي تأبى أن تفتح نوافذها للأدب الإسلامي.. وهذه الصرخة جديرة بأن تهز بعض القلوب الغافلة، وأن تنبه إلـى الخـطــر الكبير المحدق بأذواق الأجيال المسلمة

وثقافتها، والأخت الكاتبة تشير إلى قضية »الـمـصـادرة« التي تقوم بها أكثر وسائل النشر في العالم للأدب الإسلامي ونماذجه وأسماء مبدعـيـه:
عـشـــرات الصحف كتبت عن الشاعر الشيوعي التركي »ناظم حكمت«، ولكنها تجاهلت بشكل مفزع الشاعر الإسلامي المبدع »محمد عاكف«، لماذا هذا التجاهل؟!
سؤال كبير تثيره الأخت نورة في مقالها، فهل من مجيب؟!
ولقد كانت نظرة الـكـاتـبــة إلـى »جـمـالية النص الأدبي، ونفعيته وغائيته« نظرة موضوعية هادئة، ولعل ما كتبته في هذا الجانب يُعد بمثابة التصحيح لبعض ما ورد في المقال السابق الذي ناقشناه في بداية هذه الدراسة.
هنا أقف، وأكـــــرر اعتذاري إلى الأخوة في »البيان«، وإلى الأخوة القراء لأنني لم أتمكن من تناول النصوص الأدبية المنشورة في الأعداد الأخرى (68- 69 -70)، وذلك بسبب ضيق المساحة وطول الموضوع، والله المستعان أولاً وأخيراً.

الهوامش:

(1)،(2)علم الجمال »الاستاطيقا« لـ"»دنيس هويسمان"«، ترجمة د/ أميرة حلمي مطر، ص4.
(3)،(4)النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال، ص 305 وما بعدها.
(5) مقالات في النقد الأدبي ل" »تولستوي«"، ترجمة د/ إبراهيم حمادة، ص 96.
(6)للدكتور/ عماد الدين خليل دراسات نقدية جيدة في كتابيه »في النقد الإسلامي المعاصر«، و »محاولات جديدة في النقد الإسلامي«، وكذلك الدكتور/ محمد عادل الهاشمي، والأستاذ/ محمد حـســن بريغش وغيرهما، لهم دراسات نقدية جادة، والأدب الإسلامي بحاجة إلى المزيد، وقد أقرّ مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي الذي عقد في تركيا أخيراً توصية نصت على مسؤولية النقاد الإسلاميين في دراسة الإبداع الأدبي الإسلامي دراسات نقدية شاملة توضح مواطـــــن القوة فيه، وتسدد خطواته وتشير إلى ما فيه من ضعف أو خلل أو تقصير، فلعل النقاد يستجيبون لذلك.

نصوص شعرية

ينادي الجدار الجدارا

عبدالوهاب الزميلي

- أ -

ينادي الجدارُ الجدارا:
[أيُسدِلُنا (السوطُ) فوقَ الدماءِ ستارا!

وتُسحَقُ فوقَ الجباهِ..
جباهُ الحيارى؟!
ويَلطِمُنا حسبة! إن بدا..
على الوجهِ آثارُ سيل الدماءْ..
(بغاثُ بن ظلمة وابن أُبَيٍّ)!
ويركبُ فوق الظهورِ (حُيَيٌّ)!]

- ب -

يَدُقّ الجدارُ الجدارا:
[ألا غضبةٌ؟..
نَفِرّ من الظلمةِ المبهمةْ..
ونهوي على قاعة المحكمة..
ونرفعُ راياتِنا حُرّةً..
على الرأسِ فوقَ ذُرى الملحمة]
ويبكي الجدارُ الجدارا ..
ويبقى الحيارى حيارى ..
ولكن جمراً .. بثوبِ الرمالِ توارى!
ويرثي الجدار الجدارا!
وقبل انقشاع الضّباب ..
رأى الكونُ شيئاً تَوَارَى؟!!

نصوص شعرية

سُؤرُ هَمّ!

سليمان بن عبدالرحمن العبيد

أقــول لأصحابي: ثباتاً لى الـــدّرب	ستُـفـرَج من بعد الـشـدائـد والـكَـربِ
أقــول لأصحابي: ثباتاً وإن أمُـــتْ	فـإنـي قـتـيـل لـلـيــهـودي والـصّـربي
بقـيـــةُ حـزنٍ سـؤرُ هَـمّ تـعـــــددتّ	مصادرُ إزعاجي مـن الـبُـعـد والـقـرب
وأيّ بـــلادِ الـمـسـلـمـيـن نقـيـــةٌ	من الذبح والتخريب والمنهج الغربِي؟!
لـماذا بـــلادُ الـمـسلمين تعـــودَتْ	عذابَ دعاة الله بالحـبس والـضّرب؟!
تـسـير بـــلادُ الـمـسـلـمـين بخُطّـــةٍ	تنـظـمـهـا صهـيـون يـا خـيبةَ العُربِ!
أهينوا بنيكـم معشرَ العُرب بينمـــا	بنونا بنو صهـيـون في ساحة الحَرب!
وآذوا الرجــال الصامدين جميعهـــم	ولا تـتـركـوا غيرَ النـعامة و "الخِربِ"
إلهـي غَـرِقْـنـــا بالـمـذلـةِ والأســـى	فـقـيّـضْ لـنـا شرقاً يَفُكّ من الغربِ!!

المسلمون والعالم

يهود.. وصريعان (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة)

د/ عبد الله عمر سلطان

هدأ الضجيج والصخب وجاء وقت الاستحقاق.. اختفت الابتسامات البلهاء المريضة، وجاء دور اتساع الأحداق أمام الحقيقة الـمـزعـجـة. تلاشت أغصان الزيتون التي كان يرشق بها »أزلام« المنظمة والحالمون بسلامٍ مع يهود جـنــود الصـهـايـنــة، وظهر الحجر والسكين بدلاً عنها!.

بعض الحوادث والقصص تلخص الواقع القائم بكل تفاصيله، كما لا تفعل المقالات المدبجة والقصائد العصماء والخطب المجلجلة.. وإليكم مختصراً لقـصـــة موحية لهذا الواقع المطل برأسه.. إنها قصة أحمد خالد أبو الريش، هذا الشاب الذي لم يتجاوز العشرين من العمر، كان أحد الناشطين في حركة فتح التي وقعت اتفاق المبادئ مع الصهاينة قبل أشهر.. وحين عودته من رحلته التاريخية تاريخية فعلاً من باب حجم الذل والانكسار صرح ياسر عرفات أن عدوه هو عدو السلام، وأن الاتفاق هو أضخم مكسب حقـقــه الفـلسطينيون على مدى تاريخهم..!!

وصـــدّق أحمد خالد أبو الريش تصريحات زعيمه، أوليس هذا »الياسر« هو رمــز القـضـيـة و»راهبها« الثوري؟!

أوليس هـــو القائد الذي »يفهم« ما لا يفهمه كل من اعترض على اتفاقه مع يهود أو فكر في مناقشة بنوده؟!

ولأن خالداً »منضبط«، وقبل ذلك »رقم« مطيع كبقية العناصر الذين يُضحى بهم في سبيل »النصر« الذي تسعى إلـيـــه قيادة تونس، فقد شجع قرار »صقور فتح« (الجناح العسكري للمنظمة في المناطق »الفتحاوية«) المحتلة الذي أوصى بإلقاء السلاح وإيقاف كل العمليات العسكرية بعد تسعة أيام فقط من توقيع اتفاق عرفات/ رابين، وذلك بعد صدور قرارات زعيم السلام وعدو الإرهاب، الذي قال لشعبه بأن الإرهاب يضر بصحتهم ؛ لذا فعليهم أن يمتنعوا عنه بناءً على نصيحة طبيب صـديــق اكـتـشـفـه »أبو عمار« في شارع بنسلفانيا في واشنطن يسمى »بيل كلنتون«، لقد وصف تجربته معه بقولـــه: »لقد اكتشفت صديقا لنا في واشنطن«. صحيح أن العبارة »ملطوشة« من تصريح لرئيسة الوزراء اليهودية السابقة »جولدا مائير«، لكن هل يغص الذي ابتلع دماء القضية الفلسطينية وثوابـتـهــا بـعـبــارة مــأخوذة من النبراس اليهودي الصديق؟!

المهم أن المشكلة الوحيدة التي واجـهت أحمد خالد أبو الريش، هــي مــلاحقة السلطـات الإسرائيلية؛ له بسبب ماضيه الـسـابق، وضلوعه في

عمليات عكرت أمن الـمـسـتـوطـنـيـن الصهاينة في قطاع غزة، ولدى أول فرصة سانحة سارع أحمد خالد أبو الريش لتسليم نفسه إلـى سلـطــات العدو الصهيوني، وسلم سلاحه أيضاً، تعبيراً عن »حقبة السلام« التي يهدد بتعكير صفــوها مجموعة »المتطرفين الأصوليين« الذين هم »العدو المشترك« لطرفي الاتفاق: علمانيي المنظمة ويهود إسرائيل!.. وبعد ساعات قليلة من احتجاز أحمد أبو الريش خرج محمولاً على الأعـنــاق في مظاهرة صاخبة طافت شوارع (خان يونس) معبرة عن بدء عصر جديد وصفحة أخرى تقول »العهد السلمي« بدأ.. وهذا أول الغيث!!.

وفي اليوم التالي بدأ أحمد يتصدى لكل من يشكك في »حجم الإنجاز« أو »استسلام القيادة« أو »طبيعة يهود« التي لا ترعى العـهـود والـمواثيق.. ولم يمضِ أسبوع واحد على تسليم أحمد خالد أبو الريش لنفسه وسلاحه إلى قـيــادة اليهود حتى باغته جنود الوحدات الخاصة لجيش الاحتلال فأردوه قتيلاً يتخبط في دمه!!

صدّق خالد أن ليهود عهوداً.. وآمن أن السلام ممكن.. فدفع ثمن هذا دمَه وروحَه.. التي رهنها بيد قيادات العجز المتهاوية، وعلى بـعــد آلاف الأميال هناك في حمام الشط كان القادة الكبار يستقبلون الخبر ببرود، فدم خالد وأمثاله قربان بسيط لا يستحق أن يزعج »آباءُ النضال« أنفسهم به ؛ لأن السلام أثمن وأعظـم من أن يعكر صفوه دم شهيد آخر!! فالشهادة في سبيل الطين والتراب ترخص أمام حـيـاة الأباطرة التي يتمتعون بها، وروح (درزينة) أخرى من الشهداء قدر الثورة التي أصبـحـت ثروة يتمتعون ويتقلبون في أجواء الترف بسببها.

ثم هناك أمر آخر أكثر خطورة من خبر تافه كهذا: إن الـقـــوم مشغولون في الإعداد للحل والترحال بين العواصم الإسكندنافية، وإيجاد مسالك لائقة لـمـقــامهـم في أريحا.. فسرير الرئيس الذي أعد بعد يوم واحد من توقيع الصك دليل دامغ على أن »النعـش« الوطني هو القـنطرة الوحيدة لإقامة »العرش« الذي صنعه يهود بمواصفات دولية فائقة المواصفات دقيقة التفاصيل.

مشكلة أحمد خالد أبو الريش وأمثاله أن عليهم أن يدفعوا ثمن العرش دماً وروحاً وجراحاً في أكفان متتالية لا تثير قيادات الدم البارد، التي تُهيئ نفسها لطور الدولة/ الكانتون!!

قد أنبأهم ربهم:

الذين يتحدثون عن نقض بني إسرائيل للعهد لا يتحدثون من فراغ، ولا ينطقون إلا بآيات محفوظة .. فيهود من خلال تعاملاتنا معهم منذ اليوم الأول قوم إذا بحثت عن أبرز صفة لهم برز لك »نقض العهد« كأول معلم لتلك الأمة وهذا أول ما يقفز إلى الذهن، الذهن النظيف واليقين المطمئن.

لقد تولوا منذ أن بعثت الرسالة فيهم: ((وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناْ وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناْ وأقيمو الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاْ منكم وأنتم معرضون))(1).
لقد كانت هذه الطبيعة ملازمة لهم عبر العصور، ورذيلة صارت طبعاً وسلوكاً.. إنهم الذين صدق قول الله فيهم وقوله الصدق: ((أوكلما عاهدوا عهداْ نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون))(2).
ولما كان قول الحق جل وعلا قرآناً يتلى .. ووعداً يتحقـق .. جاءت الأحداث بكلكها مرة أخرى ترسخ يقين المسلم في هذا العصر القلق، بأن اصبر وصابر ورابط.. فـبصـــرك ثابت وبصيرتك نافذة بحول الله!
هـــل رأيـتـم كيف يتحقق وصف يهود أمام الأنظار مرة بعد أخرى؟. لقد جاء مـــوعـــد الانسحاب المزعوم من الأرض التي لا تساوي 3 % من مجموع ما اغتصبه يهود من أرض فلسطين.. فـــإذا هـــم يتراجعون عن هذا الإنسحاب الطفـيف التافه ويؤكدون غدرهم وخيانتهم، فلا وفاء ولا أمانة كما هو العهد بهم.. إنهم أمة لا تحترم قداسةً ولا تصون ميثاقاً.. كما نطق رابين بعد يوم واحد من موعد الانسحاب فقال: »قلت قبل عشرة أيام وأكرر القول: لا موعد مقدس« .. نعم بهذا اللفظ لا موعد مقدس .. ولا عهد مقدس!!
قال ابن جريج:(لم يكن في الأرض عهد يعاهدون إلا نقضوه .. يعاهدون اليوم .. وينقضون غدا)(3).. نعم عاهدوا قبل شهور ثلاثة ثم عادوا ينقضون دون خجل أو حياء.
ولم يخفِ يهود نياتهم الخبيثة المبيتة بنقض العهد، كما هو دأبهم، فهذا (موشي شاحال) يصرح لإذاعة جـيـــش إسرائيل: بأن الاتفاق الإسرائيلي/ الفلسطيني سيكون لاغياً إذا فاز المعارضون للاتفاق في انتخابات الحكم الذاتي!!
وصدق الله القائل: ((أوكلما عاهدوا عهداْ نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون))(4).. هذه الآيات الرائعة تـقــف أمام حجج المهزومين الذين يروجون لهذا الحل العبقري!! حين يتـحـولـون إلـى »حرس حدود« يقوم بحفظ أمن دولة الصهاينة وهم يراهنون أحياناً عـلـى العناصر المعتدلة و »الحضارية«، كما وصفها عرفات في وجه المتشددين أمثال رابين ومن أبرز هؤلاء (شمعون بيريز) الذي شارك عرفات احتفال الأسبان في غرناطة بخروج المسلمين من الأندلس .. (ما أعظمه من احتفال ومن ذكرى تلقي بظلالها على مـصـيـر أهـــل فلسطين اليوم)، لكن بيريز من خلال كتابه الجديد »الشرق الأوسط الجديد« يؤكد جذوره اليهودية الناقضة للعهود والمواثيق التي يوقعها مع شراذم العلمانية العربية المفلسة، ففي حديثه عن عودة الفلسطينيين إلى ديارهم يقول: »لن نسمح مطلقاً بعودة الـــلاجـئـيـن الفلسطينيين إلى ديارهم بغض النظر عما يثيره الجانبان من حجج.. ليس هناك فرصة لقبول ذلك الآن.. أو في المستقبل..«.

وما أصدق من قال: »اليهود موسومون بنقض العهد وبالغدر، ولقد أخذ الله تعالى الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا، وكم عاهدهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم يفوا...«.
لقد برز المراهنون على صدق اليهود وحسن نياتهم عارين تماماً إلا من الوقاحة ومفلسين إلا من الدجل، وهذه الحقائق النافرة تثبت مرة بعد أخرى كذب اليهود وغشهم وخداعهم، وهذا أمر مستقر في النفوس، تحركه الأيام وتثبته الوقــائــع، ويصدقه الحديث النبوي الشريف.
يا يهود قد أنبأنا الله بكم .. فهل تملك مناخل إعلام التطبيع حجب الحقيقة الساطعة؟!

والقادم أحلك:

هنا اليوم معادلة لها طرفان: طرف يزداد قوة وتجـبـراً، وطرف آخر يزداد ضعفاً وتراجعاً لتظل محصلة طرفي المعادلة متساوية: كلما ازداد طرف قوة.. كان على طرف المعادلة الآخر أن يتراجع.. وإلا اختفى نهائياً.
لقد أبرزت مهلة الثلاثة أشهر التي أعقبت الاتفــاق أن الصهاينة يهدفون إلى تحقيق أكبر قدر من المكاسب والـتـنـازلات أمـــام قـيــادة معزولة عن شعبها، بل وحتى عن حلفائها التاريخيين..، ولا يستبعد المراقبون أن هذا يتم عمداً حتى تحترق أوراق المنظمة وقيادتها، ليتم استبدالـهـــا فيما بعد بقيادة تستلم هذا الحمل الثقيل الذي لا يمكن لأحد أن يصنعه سوى القيادة الحالية.
إن نقض الاتفاق بالإنسحاب من غزة وأريحا يؤدي إلى هذا الهدف المباشر، كما أنه يكشف عن مطالب إسرائيل وطلباتها والتي كشفت عنها الصحافة العربية مؤخراً، وهي تتمثل في:
1- الكشف عن كافة مخابيء الأسلحة الفلسطينية في إسرائيل وقطاع غزة والضفة الغربية، والكشف عن أسماء المشرفين عليها وبصورة خاصة في أريحا وخان يونس وأيضاً بيان طرق إدخــالها إلى تلك المناطق، وأسماء التنظيمات الفلسطينية التي ساهمت فيها.
2- الإعـــــلان عن حل جميع الأجهزة الأمنية والعسكرية التابعة لحركة فتح وإعلانها حركة سياسية غير مسلحة.
3- إطلاق سراح عميل الموساد (عدنان ياسين) وتسليمه لدولة أوروبية يتفق عليها مقابل إطلاق سراح عدد من السجناء الفلسطينيين البارزين.
4- عدم المطالبة بالسيطرة الفلسطينية على المعابر والجسور.
5- الموافقة بالإبقاء على النشاط العسكري للقوات الإسرائيلية والأمن الإسرائيلي في منطقة الحكم الذاتي.
6- الموافقة على التنسيق بين قيادة الشرطة الفلسطينية وجهاز الأمن الإسرائيلي في كافة الأمور الأمنية.

7- الكشف عن أسماء المسؤولين عن 14 عملية قامت بها حركة فتح في إسرائيل والضفة الغربية والقطاع، وقتل فيها إسرائيليون، ولم يتم إلقاء القبض على مرتكبيها.
كل هذا يتم »قبل« أن يتم أي انسحاب فعلي.. فما هو ثمن أي خطوة في طريق الانسحاب الشامل؟!
لقد تبخرت شعارات »الواقعية« ودخولنا »مرحلة جديدة« ؛ لأن الجانب الإسرائيلي وحلفاءه من خلال ممارستهم التفاوضية يجذرون في الأمة الصورة الحقيقية للأمة الملعونة، التي لم تعرف سوى الغدر والخيانة.. كما أنها تمزق آخر الأوراق الشفافة التي يتحصن بها عرابو الاتفاق المشؤوم والذي يزداد بشاعة مع مطلع كل يوم، وظهور الحقيقة ساطعة أمام الأمة.
هذه الأمة عليها أن تستلهم مسار قدوتها، النبي الخاتم -صلى الله عليه وسلم- حينما خاطبه ربه بقوله:((الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون))(5) .. وحين تصل إلى اليقين برسالتها ستختفي كل الخفافيش التي تتكاثر في الظلام.. ويختفي وقت الاصباح..، وحينها لن تمر بتجربة ساذجة ومرة، كتجربة أحمد أبو الريش الذي دفع ثمن ولائه لقيادة »الزعيم« دمه وروحه.. بلا مقابل..، وبثمن بخس في الوقت الذي سقط فلسطيني آخر برصاص الغدر الصهيوني بعد أن ثمّن رابين سقوطه بأنه »نصر لإسرائيل« وأعني به (عماد عقل) أحد مجاهدي سرايا عز الدين القسام التابعة لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).
وهنا بالتحديد يفترق الطريق.. وتتباين الشعب طريق يستلهم الرشد من كتاب ربه ويعد الشهادة مغنماً وطريق سَلَّم بوصلة القيادة ليهود تهوي به نحو هوة سحيقة.. لا محالة.
مرة أخرى تبرز المعادلة الجديدة في قصة الصريعين (عماد و أحمد) كلاهما سقط برصاص الغدر الصهيوني.. أحدهما يعلن أن طريقه مسدود وبلا منافذ والآخر يرسم للفجر خيط ضوء وحزمة شعاع تقول إن المعركة ببطلها الأصيل قد أطلت.. فويل ليهود من فجر قد اقترب..

الهوامش :

(1)سورة البقرة:83.
(2)سورة البقرة:100.
(3)تفسير ابن جرير، ص 227.
(4)سورة البقرة:100.
(5)سورة الأنفال:8.

المسلمون والعالم

اليمن: إلى أين تسير؟!

عبد الله الحاشدي

تمر اليمن في هذه الفترة بأزمة حقـيقـية لم تعرف مثيلاً لها منذ أن أقيمت الوحدة إلى اليوم بين حزب رئيس مجلس الرئاسة عـلـي صـالـح (المؤتمر الشعبي العام) وحزب نائب رئيس مجلس الرئاسة علي البيض (الحزب الاشـتـراكي)، وهي أزمة بالغة الخطورة، ومن الممكن استعراض خطورتها من خلال النقاط التالية:

*أنها بين حزبين قوميين أقاما الوحدة الـيـمـنـيـة على أنقاض دولتين، ومازال كل حزب يسيطر على المناطق التي كان يحكمها قبل الوحدة.

*أن الحزب الاشتراكي أعطى لصراعه مع الرئـيـس (علي صالح) وحزبه بعداً مناطقياً، إذ يوجه إليهم تهمة إرادة إحكام السيطرة لما كان يعرف بنظام اليمن الشمالي على نظام ما كان يُعرف باليمن الجنوبي وخيراته وأفراده وعدم منحه الـمكانة المرموقة التي كان يحظى بها من الناحية المعنوية أو المادية، بل على العكس من ذلك فـإنــه نقـــل إلى المناطق الجنوبية والشرقية مساوئ نظامه من تسيب أمني وإداري وتدهور اقتصادي..الـخ، مع قيامه بإزالة المعالم البارزة لدى ما كان يعرف بنظام اليمن الجنوبي من الوجود.

*أن الأزمة تجاوزت نقد كل طرف من طرفي النزاع لمواقف الطرف الآخر، إلى تهجم قيادة كل طرف على قيادة الطرف الآخرمن خلال الخطب والكلمات و الـمـقـابلات التلفزيونية والصحفية، وشتى وسائل الإعلام المختلفة التابعة لهما، وهذا ما جـعـــل الخلاف بينهما يتعمق ويتأصل، بالإضافة إلى انعدام ثقة كل طرف بالآخر مما حصل بـسـبـبـه انحـســـار إمكانية إقامة حوار موضوعي يزيل بؤر الصراع بين الطرفين وقد يؤدي ذلك إلى تراجع في فرص استمرارية التعايش السلمي بينهما.

*دخول الجيش وقوات الأمن في الأزمة تبعاً لانتماءاتهما الحزبية، وخضوع الجيش وأمن مـــا كان يعرف باليمن الشمالي للرئيس وخضوع جيش وأمن ما كان يعرف باليمن الجنوبي للحزب الاشتراكي.

وقد كانت هنالك تحركات لوحدات من الجيش من معسكراتها إلى مواقع أخرى، بالإضافة إلى اسـتـحـــداث نقـــاط جديدة وثبوت إعلان حالة الاستنفار القصوى في بعض معسكرات الجيش إن لم يكن كلها.

*أنها أزمة متحركة سائرة بقوة نحو التصعيد مما يعني عدم إعطاء الفرصة لمن يريد حلها وتخفيف حدة توترها بين الطرفين.

تطورات الأزمة الأخيرة:

بعد عودة (البيض) من رحـلـتـه الاستشفائية في الولايات المتحدة الأمريكية ومقابلته لكبار المسؤولين في الإدارة الأمريكية وفي مقدمتهم نائب الرئيس

الأمريكي، عاد إلى عدن بدلاً من صنعاء ولزم حالة ما سمي »الاعتكاف« منذ ذلك الوقت.
ولقد كان سبب ذلك الاعتكاف! في البداية كما صرح به أكثر من مصدر يمني هو اعتراضه على مشروع تعديل الدستور الذي وقعته أطراف الائتلاف الثلاثي الحاكم بما فيهم الحزب الاشتراكي ممثلاً بأمينه الـعــام الـمـساعد (سالم صالح محمد)، وكان اعتراض البيض على المشروع يتركز في قضيتين:
الأولى: تدور حول منصب نائب الرئيس وهل يكون بالتعيين من قبل الرئيس أم بالانتخاب مع الرئيس، والفرق بينهما أن نائب الرئيس إذا كان معيناً فإنه يحق لمن عينه عزله، كما أنه ليس من صلاحيته في حال فراغ منصب الرئيس أن يتولى الرئاسة بقية الفترة الرئاسية، بل يقوم رئيس مجلس النواب بتولي مهام الرئيس مدة لا تزيد عن شهرين تجري خلالهما انتخابات رئاسية جديدة بخلاف ما لــو كـــان منتخباً، فإن الأمر يتحول على الضد من ذلك.
الثانية: تدور حول تطبيق نظام اللامركزية الواسعة في الحكم أو عدم تطبيقها ويلزم من ذلك كون المحافظ وكبار مسؤولي المحافظة منتخبين من أبناء المحافظة في حال تطبيقها، ومعينين من قبل الرئيس والحكومة في حال عدم تطبيقها.
ويريد الحزب الاشتراكي من ذلك ضمان اسـتـمـراريـتـه فـي حكم المحافظات الجنوبية والشرقية عن طريق انتخابات في كل محافظة لاختيار مسؤوليها، تكون نتائجها معروفة سلفاً، كما كان الحال في الانتخابات النيابية السابقة، بالإضافة إلى سعيه للحصول على نجاح مرشح الحزب الاشتراكي لمنصب المحافظ في بعض المحافظات الشمالية، مما يعني في حال نجاحهم في ذلك الاستمرار في حكم ما كان يسمى باليمن الجنوبي، بالإضافة إلى بعض المحافظات الشمالية.
وبالطبع لم يقم الرئيس (علي صالح) بتلبية هذه المطالب، ممـا جـعـــل نائـبــه يستمر في اعتكافه، لكن حدث تطور آخر في الأزمة إذ أعلن الحزب الاشتراكي ثمانية عشر مطلباً تمثل جملة مطالبه من الرئيس (علي صالح) لحل الأزمة، ولن ندخل في عرض هذه المطالب ونقاشها، لكنها في غالبها مطالب تقوي نفوذ الحزب في الدولة وتقلص من نفــوذ الرئيس (علي صالح)، بالإضافة إلى مجموعة من المطالب للمزايدة بها على الجماهير.. ولقد أدخل الحزب الأزمة بمطالبه تلك مرحلة جديدة، فبدلاً من أن الاعتراض كان على نـقــاط فـي مشروع الدستور، إذا به ينقلب إلى اعتراض على نظام الحكم القائم ووسائل تنفيذه مع أن الحزب أحد مؤسسيه ومنفذيه والمنافحين عنه سابقاً! ولقد سعى الاشتراكيون من خلال ذلك إلى تحقيق مكاسب عدة منها إلقاء مثالب الفترة الانتقالية وما بعدها الداخلية منها والـخـارجـيـــة على الرئيس (علي صالح) وتحميله مسؤوليتها كاملة، نظراً لكونه المتنفذ الوحيد في الحكم الساعي إلى تهميش جميع القوى من حوله.

والملاحظ أن (البيض) في هذه المرحلة حاول أن يعمق خلافه مع الرئيس (علي صالح) شخصياً من خلال التهجم والاستهزاء بشخصيته وحديثه ووصفه بالمراوغة وعدم تنفيذ الوعود، بالإضافة إلى وصمه بعدم القدرة على إدارة البلاد وضبطها، ولقد التزم الرئيس (علي صالح) الصمت، واكتفى بالتهديد معلناً أنه سيرد على ذلك بالمثل.. وعموماً فقد كان الرئيس صامتاً في الغالب وكل ما كان يرد به هو عدم مصداقية الحزب الاشتراكي في تطبيق الديمقراطية والرضى بنتائج الانتخابات النيابية، التي قلصت تواجدهم في البرلمان والحكومة، بالإضافة إلى قيامه بإعلان تسعة عشر نقطة تمثل جملة مطالبه ومرئياته للخروج من الأزمة وهي تشتمل على ما اشتملت عليه مطالب الحزب الاشتراكي، ولكن بما يحقق مصالح الرئيس ويقلص من نفوذ الحزب الاشتراكي وطموحاته.

ولقد استمرت الأزمة على ما هي عليه رغم توسط كثير من الشخصيات اليمنية وغير اليمنية بين الطرفين لنزع فتيل الأزمة، ولكن دون جدوى، إلى أن أعلن الأمين العام المساعد للحزب الاشتراكي في خطوة مفاجئة للكثيرين اعتقاده بأن النظام الصالح لليمن هو (الفدرالية) لا الوحدة الاندماجية، ولم يقم الحزب الاشتراكي بالاعتراض على هذا الأمر، بل قام بتبرير هذا المطلب مدّعياً بأن وضع اليمن الآن دون مستوى الفدرالية، مما جعل الكثير من المحللين يفسرون تصريح (سالم صالح) بأنه موقف للحزب وليس رأياً شخصياً مجرداً.

ونحن نلاحظ من خلال ما سبق استمرارية الحزب الاشتراكي في تصعيد الأزمة فترة بعد فترة، فيا ترى ما حقيقة مطالبه؟.

يمكننا تلخيص حقيقة مطالب الحزب الاشتراكي بحرصه على استمرارية قوته ونفوذه ومواصلة إعطاء المناصب والامتيازات لكبار قياداته، وفي حال تحقق ذلك فإن لدى الحزب الاستعداد لضمان استمرارية الوحدة، وعدم مواصلة افتعال الأزمات، وفي حال إضعاف قوة الحزب وكبت نفوذه وتقليص امتيازات قياداته فإن لديه الاستعداد لمواصلة افتعال الأزمات والمشكلات، والسعي بجدية إلى الانفصال.

ولكن ما هي الأسباب التي شجعته على سلوك هذا المسلك؟

الأسباب كثيرة منها الخفي ومنها المعلن، ولكن ما ظهر لنا منها في الأفق هو التالي:

*أن وضع الحزب بعد الانتخابات النيابية الماضية أصبح في خطر، فبدلاً من كونه كان يملك ما يقارب 50% من البرلمان والحكومة، صار له أقل من (خُمس) البرلمان فقط، بالإضافة إلى (ثلث) الحكومة تقريباً وبالتالي فإن عليه أن يسعى إلى منافذ أخرى تمكنه من استمرارية نفوذه وسيطرته، وهو ما طرحه عن طريق (اللامركزية)، وإعطاء صلاحيات واسعة لنائب الرئيس.

*مجيء اعتكاف البيض بعد عودته من أمريكا ومقابلته لنائب رئيسها ومروره على فرنسا يشير إلى إمكانية أخذه للضوء الأخضر من هناك، وذلك في محاولة من الغرب لإجراء مزيد من التركيع للرئيس (علي صالح) الذي اتخذ موقفاً غير مرضيٍ عنه في أزمة الخليج، بالإضافة إلى عدم اتخاذه موقفاً حاسماً من القوى المهددة بشكل صارخ لرعايا تلك الدول ومصالحها في اليمن ومنهم الشباب اليمني العائد من أفغانستان الذين اتهم بعضهم من قبل الحزب الاشتراكي بتفجير فندق الساحل الذهبي في عدن أثناء نزول مجموعة من الجنود الأمريكان فيه خلال توجههم إلى الصومال، بالإضافة إلى عدم مقدرته على إحكام السيطرة الأمنية على البلاد واعتماده على النظام القبلي الذي قد يعرض منسوبي ومصالح الشركات الغربية المنقبة عن النفط للخطر.
*أخذه للضوء الأخضر من بعض القوى الإقليمية واستعدادها لدعمه وتأييده بقوة.
*حصول نوع من التحسن في موقف التيار الشعبي من الحزب وبالأخص فيما كان يعرف باليمن الجنوبي، نظراً لتدهور قيمة العملة وارتفاع الأسعار بشكل جنوني، وانتشار الرّشوة وعدم وجود تحسن في الخدمات، وقد استطاع الحزب الاشتراكي أن يقنع الكثيرين من أبناء تلك المناطق بأن المسؤول عن كل ذلك هو الرئيس (علي صالح).
*هذا بالاضافة إلى اكتشاف وجود النفط بكثرة في المناطق الجنوبية والشرقية وزوال كابوس الرعب الغربي من الأحزاب الاشتراكية بعد سقوط المنظومة الشيوعية، وقدرة قادة الحزب الاشتراكي على الاتصال المباشر بالغرب، وتقديم مزيد من أوجه الطاعة والاستعداد لخدمة مصالحهم بإخلاص في اليمن.

حقيقة موقف الرئيس على صالح:

في البداية أعلن الرئيس رفضه لموقف نائبه الـمـتـمـثـل في الاعتكاف، ذاكراً بأنه مسلسل سيستمر لتحقيق مزيد من المصالح والمكاسب، بالإضافة إلى رفضه لمطالب الحزب المتمثلة في تعديل مشروع الدستور.
وبعد فترة من استمرار الحزب الاشتراكي في تصعيد الأزمة، أعلن قبوله بمطالب الحزب الثمانية عشر، وأحال وضع آليةالتنفيذ إلى لجنة الحوار الوطني المكونة من أغلب القوى الموجودة في الساحة، ومع ذلك الإعلان بالموافقة فإنــــا نشك في مصداقيتها لأن تنفيذ المطالب يعني سلب صلاحيات مهمة من (علي صالح)، وخير له أن يبقى حاكماً لما كان يعرف باليمن الشمالي وحده من أن يكون في ظل الوحدة غير حاكم لما كان يعرف باليمن الجنوبي وبعض المحافظات الشمالية ومن الممكن إرجاع تلك الموافقة إلى أحد الأمرين التاليين:
الأول: أنها محاولة لتمرير مرحلة يجد فيها أن الحزب يقوى على حسابه يوماً بعد يوم، سواءاً أكان ذلك داخلياً من خلال ازدياد شعبيته لدى أبناء المناطق

الجنوبية والشرقية ولدى بعض أبناء المناطق الشمالية.. أم إقليمياً من خلال التقاء البيض ببعض ممثلي الدول الاقليمية في اليمن، بل وفي أثناء رحلته الاستشفائية في أمريكا، والتأييد الواضح بصراحة للحزب في صحف تلك الدول.. أم دولياً من خلال عدم ممارسة نوع من الضغط على الحزب من قبل أمريكا وفرنسا وغيرهما، لثنيه عن موقفه، بل وقيام دول أخرى مثل بريطانيا بانحياز واضح نحوه.

الثاني: أنها نوع من تبادل الأدوار مع التجمع اليمني للإصلاح والأحزاب المحسوبة على الرئيس، وقيام التجمع ومن معه بدور الرافض لمطالب الحزب وجعل الرئيس (علي صالح) نفسه كالواقع بين ناري الحزب الاشتراكي والتجمع ومن معه.

والقضية وطنية لا بد فيها من حل يرضي جميع القوى الموجودة، مما يعني إمساك الرئيس بخط رجعة له عند موافقته على مطالب الحزب الاشتراكي وهذا ما فعله سابقاً مع مطالب الحزب نفسها التي وافق عليها قبل الانتخابات النيابية الماضية.

موقف الإسلاميين من الأزمة:

ينظر الإسلاميون إلى الحزب الاشـتـراكـي باعتباره عدواً أساسياً يسعى إلى كسر شوكتهم وخنق دعوتهم، وتكفي تجربة الحزب أثـنـــاء استقلاله بالحكم فيما كان يعرف باليمن الجنوبي، وما قام به من حرب وإزهاق لكل ما هو إسلامي بالإضافة إلى علمانيته الصارخة ودعمه القــوي لكثير من المنكرات الضخمة والواضحة كمصنع الخمر، ومحاربته لتجربة الإسلاميين فـي التعـلـيـم ممثلة في المعاهد العلمية المنتشرة في أرجاء اليمن الشمالي، مع أن البديل قوى منحرفة في نـظـــر الإسلاميين وبينها وبين الكثير منهم عداء سافر، إذ هي أحزاب الرافضة في الشمال والصوفية الشديدة الغلو في الجنوب، أضف إلى ذلك أن مطالب الحزب تهدد وحدة البلاد وسلامتها.

والإسلاميون يدركون خطورة منطلقات (سيادة الرئيس) وسلبياته الكثيرة ولكن يقولون كما يقــــول الـمثل: »أعور ولا أعمى«، بالإضافة إلى أن بينهم وبينه تعايشاً سابقاً قبل الوحدة اليمنية، كما أنه لا يعتبرهم يمثلون خطراً على وجوده كما صرح هو بنفسه، ولا مانع لديه من إعطائهم بعض ما يريدون بما لا يجعلهم يجاوزون الخطوط الحمراء التي لا يُسمح بتجاوزها إقليمياً ودولياً.

ولقد سلك الإسلاميون في البداية طريق الإصلاح ومحاولة إخماد مواضع الانفجار، مع ميل خفي نحو الرئيس (علي صالح)، ولكن الميل ازداد وضوحاً فيما بعد يوماً بعد يوم، ووصل الوضوح أشده بتحميل (ابن الأحمر) و(الآنسي) الحزب الاشتراكي مسؤولية ابتداء الأزمة.

ولكن يبدو أن الموقف قد تغير بعد إعلان الرئيس (علي صالح) موافقته على مطالب الحزب الاشتراكي وهو ما ذكره ابن الأحمر حيث صرح في إشارة واضحة إلى الحزب الاشـتـراكي بأن التجمع اليمني للإصلاح سيسلك مسلك

المعارضة لكل من يسعى إلى تقسيم البـلاد إلى 19 بلداً، وإن وافق عليه المؤتمر والحزب الاشتراكي.. والموقف الأخير للإصلاح يحتمل أن يكون تنسيقاً مع حزب الرئيس نظراً لكونه يخدم كلاً من أهداف الطرفين، وهو الأظه.
ويحتمل أن يكون نابعاً من منطلقات التجمع ومـصـالحـــه بشـقـيـه (الإســلاميون منهم والقبليون)، ولا علاقة لحزب الرئيس به.. وأياً كان منشأ هذا الـمـوقــف فيـجــب على الإسلاميين ألا ينسوا التالي:
*ألا يركنوا إلى الرئيس (علي صالح) ومؤتمره، إذ هو من خلال التجربة يميل إليهم حين يحتاجهم، ويعرض عنهم حين يكون في غير حاجة إليهم وموقفه من الإسلاميين منذ بداية الوحدة إلى الآن خير شاهد، وليذكـــــروا أن الــذي كان يتهجم على الخطباء في المساجد، ويتهممهم بإثارة الفتن واستخدام المنابر في غير ما وضعت له، نجده الآن يستميلهم ويحرص على رضاهم. ورجل هذه حاله يمكن أن يستخدمهم لمجابهة عدوه الحالي ممثلاً بالحزب الاشتراكي، وبعد القضاء عليه يلتفت إليهم، ويقص أجنحتهم، ويكسر شوكتهم، وبخاصة إذا كان هذا مطلباً إقليمياً أو دولياً.
*أن شـركــاءهــم في التجمع اليمني للإصلاح من (القبائل) لهم ارتباطات قوية بالرئـيــس وحزبه، بل إن ابـن الأحـمـــر على سبيل المثال عضو في اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام، وله اتصالات لا تخفى بقوى إقليمية معادية للإسلاميين، وبالتالي فالواجب عليهم أن لا يسلموا زمام القيادة لذلك الـشـــريك وألا يتركوه يتخذ المواقف المختلفة باسمهم بل يجب عليهم حساب مواقفهم بدقة وبعد دراسة وتأمل.
*أن يستغلوا هذه الأزمة لكسب مزيد من المواقع والمصالح للعمل الدعوي عموماً، مما يقوي مركزهم ويُعلي من مكانتهم أمام الشعب كله.

وأخيراً: إلى أين؟

قبل الإجابة على هذا السؤال نؤكد بأن جوهر الأزمة تصارعٌ على السلطة بدون وجـــود ضوابط أو قيم أياً كانت يحتكم إليها، وبدون وجود مرجعية مقبولة تَفصِل فـيـهـــا، مع وصول الأزمة إلى التصعيد والعمق الذي يصعب معه التعايش بين الطرفين، نظراً لانعدام الثقة وشعور كل طرف باستعداد الطرف الآخر وتأهبه للانقضاض عليه وبالتالي لا علاقة لمصالح الشعب والحرص على تحقيقها من قريب أو بعيد بكل ذلك الصراع. وكل ما يذكره الجانبان من مطالب في هذا السبيل هي نوع من المزايدة على الشعب ودغدغة عواطـفـــه وكسب مشاعره لا غير!.
ومع كل ما ذكر فإننا لا نتوقع أن تُجاوِز الأزمة هـــذا الحد ولا أن تصل إلى حد الانفجار المسلح وبالتالي الانفصال، نظراً لكون ذلك سيجعل البلاد بؤرة صراع لا يتمكن الغرب معها من استنزاف الخيرات الموجودة من بترول ومعادن كما أن الشركات الغربية لن تتمكن معها من تنفيذ المشاريع الضخمة أو الحصول على الجديد مـنـهـــا، وهذا لا يمكن أن يسمح به الغرب أو تجرؤ على القيام

به القوى الداخلية المتصارعة، كـمـــا أننا لا نتوقع أن تنتهي الأزمة بسهولة وأن يتفق الطرفان على التعايش السلمي فيما بـيـنـهـمـا قريباً، نظراً لانعدام الثقة وتخوف كل طرف من كسر جناحه من قِبَل الآخر.. لكن قد تـهـــــدأ الأزمة فترة من الفترات ولكنها بالتأكيد سوف تعود إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً كانـتـهـاء رموز أحد الطرفين بموت أو اغتيال أو نحوه، والله أعلم.

المسلمون والعالم

الأوجادين.. الشعب والجهاد

مراسل (البيان) في الأوجادين

أوجادين أو (الصومال الغربي) كما يـسمى في بعض الأحيان جزء متمم للصومال، ويعرف جغرافياً باسم »الهضبة الصومالية« ؛ لأن الأخـــــدود الأفريقي يفصلها طبيعياً عن هضبة الحبشة بمنخفض تنتشر عبره مجموعة من البحـيـرات العــذبة أشهرها (أبايا) و (أبيتا) و(شامو)، وتنحدر الهضبة تدريجياً نحو الأراضي الصومالية مـمـا يجعلها وحدة طبيعية مكملة لأرض الصومال الواقعة في جنوبها وشرقها، وهي تحد (أثـيـوبـيـــا) مـن الشمال والغرب، ومن الشمال الشرقي (جيبوتي) ومن الجنوب والشرق الصومال وكينيا، وتـضم أوجـادين ثلاث ولايات (هرر) و(بالي) و(سيدامو)، وسكانها حوالي (6.271.700) نسمة غالبيتهم مسلمون ولغتهم الصومالية.

ودخـــول الإسـلام فيها مرتبط بدخوله إلى الحبشة (أثيوبيا) ؛حيث انتشر الإسلام هناك نتيجة تحـــركات التجار المسلمين، وهم من العناصر العربية من اليمن وحضرموت، ولما انتشر الإسلام بـــرز من أهله علماء وفقهاء وأثمرت الدعوة هناك قيام (إمارة إسلامية) في القرن الثالث الهجري، واستمرت حتى نهاية القرن السابع الهجري، أسسها بنو مخزوم من الحجاز، وعرفـــت بإمارة (شوا) ومنذ سقوطها في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي قامت سبع إمارات إســــلامـيـة أشار إليها (المقريزي) في كتابه (الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام)، وكانت الحرب سجالاً بين ملوك الحبشة وهذه الإمارة، وكان للمسلمين النصر المؤزر على الأحباش لاسيما في عهد الإمام (أحمد بن إبراهيم)، حتى هزم هذا الإمام المجاهد عندما تحالـف نـصـارى الحبشة مع الصليبيين البرتغاليين ضده عام 950هـ ثم تدخل العثمانيون إلى جانب الإمـــام أحمــد، فأحرز انتصارات جديدة على التحالف الصليبي، ولكنه تعجل فأعاد القوة العثمانية ؛ لاعتقاده بزوال خطر الصليبيين ولكنهم عادوا إليه، ودارت بينه وبينهم معارك قاسية انتهت بهزيمة الإمام واستشهاده رحمه الله وتعرض المسلمون بعدها لموجة شديدة من الانتقام، ولكنهم صمدوا فتحققت لهم بعض الانتصارات في ظل تفكك الأحباش وتنافسهم على الحكم، لكن الأحباش عادوا ووحدوا أنفسهم، مما أدى إلى

مضايقة المسلمين مرة أخرى ودخلت (مصر) في عدة حروب مع الحبشة استولت فيها على (هرر)، وعلى الساحل الصومالي المطل على خليج عدن عام 1292 هـ لكن الاحتلال الإنجليزي لمصر عام (1800م) ضيع عليها هذه الفرصة؛ مما أدى بشرق أفريقيا للوقوع فريسة للأطماع الاستعمارية الأوربيــة حيث غزت إيطاليا الحبشة ووقعت معاهدة مع (فيلك) ملك الحبشة سنة 1307هـ، الـــذي استـولـى على الإمارات الإسلامية واحدة بعد الأخرى، وهلك (فيلك) وتولى مكانه حفيده الإمبراطور (بيج ياسو) الذي أسلم، وأخذ يعامل المسلمين معاملة حسنة مما جر عليه غضب الكـنـيـسـة والقوى الاستعمارية، ونجحت المؤامرة في خلعه سنة 1336 هـ، وآلت مقاليد الحكم بعــــده إلى (هيلاسلاسي) فبدأت مرحلة المعاناة للمسلمين مرة أخرى، وأودع (لي ياسو) السجن حتى مات.

وقبل الحرب العالمية الثانية غزت إيطاليا الحبشة سنة 1353هـ، ونال المسلمون قسطاً من الحريـــة إبـــان حكمهم، وبعد اشتعال الحـرب العالمية الثانية عاد الإمبراطور الهارب (هيلاسلاسي) يحـض الإنجـليز على غـــزو الحـبشة، وعـجـز في هذا فبدأ القتال سنة 1360هـ، ودخل (هيلاسلاسي) الحبشة بمساعـــدة الإنجليز ووقـــع معهم معاهـــدة عام 1361هـ، ومن بنود هذه المعاهدة أن يكون إقليم (أوجادين) تحت النفوذ الإنجلـيــــزي، وبقيت خارج نفوذ الحبشة، وتغيرت المعاهدة البريطانية الحبشية بمعاهدة جديدة سـنـة 1364هـ مع تبعية أوجادين للإنجليز وفي سنة 1368هـ وصلت (مقديشو) لجنة من الحلفاء لمعرفة رغـبــة الشعب الصومالي في تقرير مصيره، فانتهى الأمر إلى أن تتولى الدول الأربع الكبرى إدارة شئونه تحت إشراف الأمم المتحدة لمدة (10) سنوات ينال بعدها استقلاله ولذا قررت بريطانيا تسليم (الأوجادين) إلى أثيوبيا بمعاهدة سنة 1375هـ، وبدون مراعاة لرأي الشعب الصومالي، لذا ثار هذا الشعب على ذلك الوضع، وكانت حجة أثيوبيا تلك المعاهدة الموقعة مع بريطانيا، وكان رد فعلها هجوماً عسكرياً على الصومال عام 1384هـ (1964م)، فتدخلت منظمة الوحدة الأفريقية لحل النزاع سلمياً، وكان مصير هذه الجهود الفشل.

جبهة تحرير الصومال الغربي:

تأسست هذه الحركة عام 1383هـ كرد فعل لتعنت أثيوبيا، وبدأت حركة المقاومة ضد الأثيوبيين ؛ وأمام الظروف الدولية قلصت الحركة عملياتها مع دخول الريف وبوادي الأوجادين، وأعطت أثيوبيا فرصة للمفاوضات ولكنها فشلت، فعادت المقاومة من جديد ؛ وبعد الانقلاب العسكري في أثيوبيا عام 1394هـ الذي أطاح بهيلاسلاسي، عمّ التفاؤل أهل الصومال الغربي ولاحت آمـــال بقرب انفراج أزمتهم، وتوقفت حركة المقاومة لكي تعطي النظام الجديد فــرصــــة للحل السلمي، ولكن الآمال خابت حيث صعّد النظام الجديد عملياته الحربية منذ عام 1396هـ، لكنه مُنِيَ بهزائم شديدة فاستعان بحلفائه

الحمر من (السوفيات والكوبيين) وقتل آلافـــاً من المسلمين، ولجأ عدد كبير منهم يزيد على المليون نسمة إلى الدول الفقيرة المجاورة، وانتشرت مخيماتهم على حدودها، وأضافوا إليها عبئاً جديداً(1).

الأوجادين.. المأساة:

تمثل منطقة القرن الأفريقي أهمية استراتيجية تنافست عليها الدول الاستعمارية منذ وقت مبكر، وتعد أثيوبيا أقرب حلفاء المنطقة لأمريكا، خاصة في التسعينات الميلادية، ولهذا تمثل أثيوبيا عمقاً استراتيجياً للسياسة الأمريكية في المنطقة.

ويحكم أثيوبيا حالياً (ميليس زيناوي) رئيس جبهة التحرير الشعبية الديموقراطية ذات الأغلبية النصرانية التجرانية، ويوجد في أثيوبيا اتجاهات سياسية وقبلية متعددة، منها:

1 -الأورميون في الجنوب والمنطقة الوسطى.

2 -العفريون في الشرق.

3 -الصوماليون في الأوجادين.

وتسعى معظم هذه الإتجاهات القبلية للتحرر من سلطة الحكومة التجرانية؛ ولهذا حرصت الحكومة الأمريكية على عدم تغير الأوضاع في المنطقة، ودعم جهود المصالحة بين حكومة أديس أبابا وخصومها من المعارضة الـمـسـلـحـــة، مع سعيها لتثبيت الحكم النصراني في المنطقة، وساهم (هيرمان كوهين) المبعوث الأمريكي في المنطقة بجهود كبيرة في هذا الميدان، وشارك في لقاءات متعددة مع الحكومة والمعارضة.

يقول أحد كبار موظفي مكتب الشؤون الأفريقية في وزارة الخارجية الأمريكي: »إن أثيوبيا ستظل أكثر دول المنطقة بما فيها الصومال جاذبـيـــة لنا لأسباب عديدة منها: مقدرتها الاقتصادية، وحجمها السكاني، وطبيعة الروابط الأثيوبية /الأمريكية التاريخية، وتمتع البيروقراطية الأثيوبية بكفاءة عالية في أداء المهمة الـمـطـلـوبـة مـنـهـــا بدقة، وموقعها الاستراتيجي على البحر الأحمر، وميراثها النصراني الذي يمكن أن يكون عائقاً أمام مد الحركات الإسلامية، إضافة إلى دور أثيوبيا كمقر دائم لمنظمة الوحدة الأفريقية«.(2)

ولقد سعت الحكومة الأثيوبية بمباركة من أمريكا إلى حصار منطقة الأوجادين لأنها تمثل أكبر تجمع إسلامي في أثيوبيا، فأهملت المنطقة إهمالاً منقطع النظير، ولم تقدم الحكومة شيئاً يذكر لتحسين حال المنطقة خاصة في عهد (منجستو هيلامريام) الذي حكم المنطقة بالحكم الشيوعي عشرين عاماً..

وزاد من مأساة الشعب المسلم في الأوجـــادين أن جفافاً شديداً ضرب المنطقة فانقطعت الأمطار، وجفت الآبار، وهلكت الزروع والمواشي.. مما أدى إلى انعدام مقومات المعيشة الإنسانية، فأصبح الناس في شدة وبلاء.

والعجيب أن مأساة هذا الشعب المسلم لم تلق حقها من العناية لأسباب متعددة منها:

1- تزامنت هذه المأساة مع تفجر الأوضاع في الصومال التي ركزت عليها الأنظار ووسائل الإعلام.
2- حرص الحكومة الأثيوبية على التعتيم الإخباري لهذا الإقليم.
3- انتشار الدعوة الإسلامية بشكل متنامٍ في هذه المنطقة، التي كونت بعد ذلك نواة للحركة الجهادية المسلحة.
وقد استغلت الهيئات التنصيرية والإرساليات الكنسية هذا الموقف ووسعت أنشطتها في المنطقة، فبلغ عددها حوالي أربعين هيئة رسمية، بينما غابت الهيئات الإسلامية عن الساحة أو كادت، مما زادٍ من تغلغل المنصرين في هذا الإقليم، وانتشر الجهل والبدع بصورة كبيرة جداً، فبيئة الجهل والجوع هي التي يغتنمها النصارى لإخراج الناس من دين الإسلام.

حركة جهاد الاتحاد الإسلامي:

لقد قامت حركة الاتحاد الإسلامي مؤخراً بجهادها لتحرير أراضيها الـمـغـتـصـبـة من المعتدين؛ لتعود أرضاً إسلامية يحكمها الإسلام وأهله، وقد دخل جهادها عامه الثاني، وهو يدور بين مجاهدي شعب الأوجادين الذين يدافعون من أجل هويتهم الإسلامية وإقامة دولتهم المسلمة وبين حكومة التيجراي الأثيوبية النصرانية، التي تسعى جادة لكسر شوكة المجاهدين وإخماد حركتهم الجهادية، وتعد الحرب الدائرة بين الطرفين حرب عقيدة؛ إذ هي المحور الأساس الذي يمثل سبب الصراع الأول والأخير، فأثيوبيا من جانبها ترى أنـهـا الــوارث الشرعي للصليبية، التي ضربت بجذورها في بلاد الأحباش ومازالت الحكومات المتعاقبة على (أثيوبيا) تخلص العطاء للكنيسة، وتعطي ولاءها المطلق للمذهب الأرثوذكسي المتعصب، الذي يعتبر نفسه الأصولي الوحيد الذي يسير على طريق الكنيسة الصحيح في زعـمـهـم وتأتي الأطماع الأثيوبية في الاستمرار في محاربة مسلمي الأوجادين والسيطرة على منطـقـتـهـم مــن خلال التشجيع والدعم المتواصل الذي تجده من القوى الصليبية الخارجية.
أما الاتحاد الإسلامي وهو الحزب الذي يقود الجهاد حالياِ ضد الصليبية وباعتراف من حكومة أثيوبيا بشرعيته، فهو يقود جهاده للقضاء علــى الصليبية في منطقة الأوجادين، التي استلبها الاستعمار الصليبي مــن أرض الصـــومــال البلد المسلم وقلد إدارتها لأتباع الكنيسة، لتسعى بدورها لطمس اسمه الإسلامي من تلك المنطقة.
ولذا لم يكن في حسبان قوات التجراي (الأثيوبية) ذات الإمكانات المادية الهائلة، والتأييد المطلق من قبل الصليبية العالمية لم يكن في حسبانها بأن قوات الأوجادين ذات ثقل كبير، وعندما عزمت قوات التجراي مهاجمة معسكر طارق بن زيـــاد الـتـابــع لقوات الاتحاد الإسلامي كانت تظن أن الكرّة سوف تكون واحدة ومبرمة، تتفرق بعدها قـــوات الاتحاد الإسلامي، لكن الله خيب ظنهم. يقول الله تعالى: ((إنهم يكيدون كيداْ وأكيد كيداْ فمهل الكافرين

أمهلهم رويداً))، فشاء الله بقدرته وعزته أن يجعل الدائرة على الكافرين ويقتل منهم سبعون قتيلاً، فلم يهدأ لهم بال منذ ذلك الحين وحتى الآن، ولقد أبلى المجاهدون بلاءً حسناً، وأذاقوا الصليبيين بأسهم ولقنوهم درساً لن ينسوه ثم استنفرت قيادة الاتحاد الإسلامي كل قوى المجاهدين في أوجادين، وقررت أن تكون المواجهات عن طريق حرب العصابات مما بث الذعر والرعب في قلوب أعداء الدين الإسلامي في المنطقة بصفة عامة.

وكانت حصيلة المواجهات العسكرية بين المجاهدين في الأوجادين والحكومة الأثيوبية خلال (16) شهراً: 13 مواجهة ما بين معركة عنيفة وعملية خاطفة. وفي تاريخ 15/7/1413هـ وقعت معركة عنيفة قتل فيها (95) جندياً من جنود الحكومة ودمرت فيها خمس ناقلات للجنود، وغنم المجاهدون معدات عسكرية كثيرة، ومن العجائب أن القوات الفرنسية المرابطة في الحدود الصومالية الأوجادنية باسم قوات هيئة الأمم المتحدة لما رأت هزائم الجيش الأثيوبي تدخلت بمروحياتها الهجومية، وشنت غارات متعددة على المجاهدين، فاستشهد اثنان وأسر ثمانية أطلق سراحهم فيما بعد، وكما قال الله تعالى: ((والذين كفروا بعضهم أولياء بعض)).

ولما فشلت حكومة أديس أبابا في حسم قضية الأوجادين عن طريق الحرب والقوة، لجأت إلى حيلة ماكرة لتدمير وحدة شعب الأوجادين، حيث طرحت مشروع تكوين حكومة محلية في المنطقة الصومالية على أن تكون غالبية مقاعد الادارة الجديدة لأعضاء الجبهة الوطنية لتحرير أوجادين، بغرض إشعال الفتنة بين أهل المنطقة، وليرفع أبناء المنطقة السلاح في وجه بعضهم بعضاً وتعم الفرقة والتشتت في صفوف المجاهدين والشعب الأوجاديني، الذي اكتشف مؤخراً أن هذا المخطط الاستعماري هو تطبيق لقاعدة فرق تسد.

وفي شهر يوليو 1993م الماضي قامت حكومة أديس أبابا بتغيير مسؤولي الحكومة المحلية الذين رفضوا تنفيذ مخططاتها الصليبية، وطالبوا بالإنفصال عن أثيوبيا، وأن يصبح الشعب الأوجاديني حراً مستقلاً، وذلك وفقاً لما ينص عليه الميثاق الوطني الأثيوبي من إعطاء حرية الخيار للشعب الأوجاديني في تقرير مصيره سواء أراد الوحدة مع أثيوبيا أو اختار الانفصال والاستقلال.

وبعد عزل المسؤولين المعارضين لسياسة أديس أبابا تجاه أوجادين قامت الحكومة بتعيين مسئولين جدد ؛ لتسيير أمر المنطقة حتى لا يكون للإدارة المحلية الجديدة حق التدخل في الشؤون المصيرية والشؤون الخارجية والدفاع والمالية وكذلك مسألة الاستقلال والانفصال عن أثيوبيا.

وتمر منطقة أوجادين في الوقت الراهن بأوضاع متفجرة حيث استعد المجاهدون في الآونة الأخيرة التي توقفت فيها المعارك وأعدوا العدة لأي مواجهات قادمة مع العدو، وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...)) ؛ ويجيء استعداد جيش المجاهدين على إثر

خروج جيوش العدو من ثـكـنـاتهــا العسكرية استعداداً لبدء معارك جديدة مع المجاهدين وقد هجم التجراي على مدينة (سجج) في 13 أكتوبر 93 وسرعان ما هزمتهم قوات المجاهــديـن حيث قتل منهم سبعة وعـشـرون جـنـديـــاً ولاذ البقية بالفرار مخلفين وراءهم غنائم كثـيـرة استولى عليها المجاهدون بعد استيلائهم عـلــى قاعدة العدو، وفقد المجاهدون ستة من رجالهم رحمهم الله.
واستطاع الاتحاد الإسلامـي أن يكسب ثقة الشعب في أوجادين في الفترة التي توقفت فيها الحرب، حيث عقدت المـؤتمرات الشعبية التي حضرها زعماء العشائر والقبائل، وتم طرح مبادئ وأهداف الإتحاد الإسلامي في هذه القاءات الشعبية، والتي أكد فـيـهـــا بأن هدفه الجهاد في سبيل الله من أجل أن تقوم دولة إسلامية في المنطقة وتحكم بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.
ولقد نـــال المجاهدون تأييد زعماء القبائل والشعب الذي كره الاستعمار الأثيوبي، ورفــع شـعــــار التخلص من العدو البغيض بعد أن اتفقت كلمته على ضرورة الجهاد في سبيل الله وطرد والصليبيين.
والله نسأل أن يعز جنده، ويعلي كلمته.. والله غالب على أمره.

الهوامش :

(1)أنظر الأقليات المسلمة في أفريقية، ج2، للأستاذ/ سيد أبو بكر.
(2)فصلية ميدل إيست جورنال، خريف 1992م، نقلاً عن مجلة المراقب، (عدد 2).

المسلمون والعالم

انتصارات جديدة للمجاهدين في (مورو) وهزائم للعدو وتبريرات ساذجة

محمد أمين

وردنا من لجنة الإعلام الخارجي بجـبـهـة تحـريـر مورو الإسلامية البيان رقم (30) الذي احتوى على مبشّرات طيبة بانتصارات جديدة للـمـجـاهـديـــن وانكسارات وهزائم للعدو، فالحمد لله على توفيقه، وصدق الله العظيم القائل ((أُذِنّ للذين يـقـاتّـلـونّ بأنهم ظٍلموا وأن اللهّ على نصرهم لقدير)).. ونقتطف من البيان ما يلي:

-(البيان)-

اعتداءات واندحارات:

لقد توالت نيران الحرب في أنحاء بلاد مورو منذ الشهرين الماضيين حـيـث قـــام الجنود الصـلـيـبـيـون بعمليات عسكرية همجية ضد المسلمين الآمنين العزل في بلدة »بانـيـسـيــلان« بمحافظة »كــوتــابــاتــو »الشمالية، وقامت

قوات »راموس« الجويّة بغارات جويّة متكررة على القرى الإسلامية الـسـت فـي الـبلــدة المذكورة، كما قامت قواته البرية بدكّها بالصواريخ والمدافع الثقيلة، ودمرت القرى، واحترقت وتشّرد أهلها ونَهَبَ الجنود الصليبيون جميع أموال المسلمين وممتلكاتهم.
وقام مجاهدو جبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة الشيخ المجاهد/ »سلامات هاشم« بهجوم مضاد لوقف الزحف الصليبي مسـتـعـيـنـيـن بالله العلي القدير، ودارت المعارك الشديدة والمجاهدون يتقدمون منذ يوم الاثنين الثاني مـــن جـمــادى الآخرة 1414هـ وتصاعدت المعارك حيث استخدم جنود العدو مدافعهم الثقيلة تتقدمـهــم الـدبـابـات والـمصفحات، وطائراتهم المقاتلة تقوم بقصف مواقع المجاهدين، ومع ذلك فقد استطاع المجاهدون بعون الله تعالى أن يحرروا ثلاثاً من القرى الإسلامية التي أقيمت فيها مستوطنات نصرانية بعد معارك عنيفة استمرت ثلاثة أيام ابتداءً من يوم الثلاثاء 3 جمادى الآخرة 1414هـ .
وانسحب جنود العدو المكوّنون من عدة كتائب منها كتيبة (35) وكتيبة (36) المشاة ومعهم عدد كبير من المليشيات النصرانية.
وقد أعلن قائد العدو الذي قاد المعركة المذكورة أنه وجنوده اضطروا للانسحاب ؛ لأن عدد أعدائهم يفوق عددهم بكثير، وأسلحتهم أقوى من أسلحتهم، ويذكر قائد العدو أيضاً أن من بين أعدائهم أربعة من الأجانب وصفوا بأنهم طويلوا القامة، وتميل بشرتهم إلـى البـيـاض ولحاهم طويلة، ولكن لم يصرح الجنرال الصليبي بجنسية هؤلاء الأجانب، والواقع أن هذا الادعاء ما هو إلا لتبرير انسحابهم فقط، فالمجاهدون قليلون، وعدد جنود العدو أضعــاف عـددهم، وليس لديهم إلا أسلحة فردية خفيفة، ولا يوجد أجنبي بينهم.
وقد أعلن قائد جنود العدو أنه لن يتخلى عن القرى الثلاث وسيعيدها تحت سيطرته، أما المجاهدون فهم يتقدمون إلى القرى المجاورة لمحاولة تحرير المزيد منها إن شاء الله تعالى والقرى الثلاث التي استولى عليها المجاهدون هي: تايلاند - كاروجمانان- بيناMولوان وقد قـتل عدد كبير من جنود العدو واستولى المجاهدون على أسلحة كثيرة ومعدات وإمدادات عسكــرية بما فيها كمية كبيرة من الأرز، كما استولوا على مزرعة كبيرة، لتربية المواشي، وفيها عدد كبير من الأبقار والجواميس.
إن الـمـعارك بين مجاهدي الجبهة الإسلامية وبين جنود العدو راموس ليست محصورة في بـلـدة بانيسيلان، فقد بدأ القتال بين فصائل المجاهدين وبين كتائب جنود العدو في قرية »بالونتو »بمديرية روهاس منذ يوم الثلاثاء 3 جمادى الآخرة 1414 هـ، ومازال مستمراً، وقد حـــرق جنود العدو الصليبي مسجداً صغيراً في القرية، وأثناء عودتهم إلى مركزهم وقعوا في كمين نـصـبـه الـمـجـاهـــدون وكانت هذه هي بداية القتال، وتكبد العدو خسائر كبيرة في الرجال والعتاد.

وقد تجدد القـتال أيضا خلال الأسبوع الأول من شهر (جمادى الآخرة 1414 هـ) في قرية »أنجا« ببلدة »دامولوج« بمحافظة« بوكيدنون« وتستمر الـمـعارك حتى الآن بين المجاهدين وبين جنود راموس الصليبيين، ولـقـي تـسـعـة مـنـهـم مـصـرعـهـم وأصيب ثلاثة خلال المعارك المتواصلة.
وفي مديرية »بيكيت« حاول جنود الـعــدو اقتحام مواقع المجاهدين، ولكن المجاهدين ردوا عليهم بضربات قوية أجبرتهم على الانسـحـاب تاركين وراءهــم 12 قـتـيــلاً، واسـتـولى المجاهدون على ما معهم من أسلحة.

خطف وتخريب:

لقد تكررت عمليات الخطف والتخريب خـــلال (الأسبوع الأول من شهر جمادى الآخرة 1414هـ) في جميع مدن »بانجسامورو »الواقعة تحت سيطرة حكومة راموس الصليبية، فقد حدث الخطف في مدينة جينرال سانتوس، كما حدث في مدينة كوتاباتو وفي سولو أيضاً، كما حدثت انفجارات في جميع المدن في بلاد مورو، ولا شك أن هذه الأحداث تدل دلالة واضحة على استياء الناس من نظام راموس وسياسته ومن ثم يلجؤون إلى أي طريق ممكنة لإضعافها.

تعاون صليبي صهيوني:

لـقـــد اجتمع مؤخراً الزعيمان الصهيوني والصليبي (رابين وراموس) في نيويورك واتفق الرجلان على تعميق التعاون بين بلديهما في مختلف المجالات، واتفقا بوجه خاص على إقامة مشـــروع مشترك لصناعة قطع غيار الطائرات، وهذا المشروع يؤهل الفلبين لصناعة الطائرات أو على الأقل تركيبها ومن ثم تطوير القوات الجوية الفلبينية.
وكان هناك تـعــاون قـديـم بـيـن إسرائيل والفلبين منذ عهد الديكتاتور المخلوع ماركوس، واستمر هذا التعاون عبر عهد أكـيـنـو، وتـصـاعــد بـعــد أن تولى راموس كرسي الرئاسة الفلبينية، وأصبح التعاون بين الدولتين (الصهيونية والصليبية) وثيقاً جداً.

نداء لدعم المجاهدين:

إن إخوانكم في الله في بلاد »مورو »بجنوب الفلبين وفي مقدمتهم العلماء والدعاة والمجاهدون ينادونكم ويستنصرونكم في الدين عبر هذا البيان. إن إخـوانـكـم فـي العقيدة في هذه المنطقة النائية يواجهون حملات صليبية شرسة وعمليات إفناء منظم، وقد قتل في الآونة الأخيرة عشرات من المسلمين الآمنين العزل ؛ وكان من عادات هؤلاء الجنود الصليبيين الانتقام من الـمـسـلـمين العزل كلما انهزموا أمام المجاهدين، فقد دمرت وأُحرقـت سـت مــن الـقــرى الإسلامـيـة، وتـشـرّدَ عشرات الآلاف من المسلمين، وليس معهم سوى ملابسهم التي على أجسامهم، فالله الله فـي إخـوانـكـم بالدعم والعون (من جهز غازياً في سبيل الله فله مثل أجره، ومن خلف غازياً

في سبيل الله في أهله بخير وأنفق فله مثل أجره)، (والله لا يضيع أجر من أحسن عملا).

هموم ثقافية

نحن ولغتنا العربية

إبراهيم داود

سألني أَحَدُ الطلبة يوماً في ضيقٍ واستهـجـان: لِمَ يُجعَلُ للعربية في جدول الدراسة كُلّ هذه الحصص، وهي ليست اللغة الأولى بـيـن اللـغــات ولا الثانية، ولا حتى الثالثة؟! وذكرتُ وأنا أحاول تفهيمه وتوعيته موقفاً للعقاد رحـمه الله، فقد سأله سائل مرةً: لِمَ تكتب؟! فقال: كان الأولى أن تسألني: لِمَ تعيش؟ فإنـمـا الحياة تعبيران: تعبيرٌ تتلقاه عن الآخرين، وتعبير يتلقاه عنك الآخرون.. كذلك الحياة عـنـد الـعـقـاد، وعـنـدي أن مَن يُنكر اهتمامنا بالعربية كمن ينكر علينا كوننا مسلمين، سيّان!

إن القرآن كما نصّت آيات عديدة عربي اللسان، والقرآن هـو مصدر تشريعنا نحن المسلمين ومنهاج حياتنا، وميزان ديننا ودنيانا وآخرتنا فكيف لا تكـون العربية التي أُنزل بها من أكبر همومنا، وملء السمع منّا والبصر والفؤاد؟!

لقد كَرّم الله تعالى هذه اللغة العربية ؛ إذ أنزل كتابه الكـريـم بهــا على رجل من أهلها -صلى الله عليه وسلم-، وكرّمها إذ حفِظَها بحفظ ذلك الكتاب العظيم، وهذا التكريم قطعي الدلالة على أنها خير اللغات، وما انحسار ظلها في هذا الزمن وضـيـق انتشـارها إلا دليل على ضعف أهلها في تعلمها وتعليمها، وتلك حقيقة لا سبيل إلى جحدها أو الـمماراة فيها، وإلا فإن الإسلام الذي حكم العالم قروناً مديدة قد نُحّيَ هو الآخر في هذا العـصـر الكـئيب عـن مـوقــع القـيـادة والسـلـطـان، أفيُحملُ الإسلام وهو دين الله الخاتم وكلمته العليا وزر انتكاسنا وارتكاسنا؟! أم من يحمل ذلك الوزر الثقيل غيرنا نحن المسلمين؟!

إن اللسان العربي شعار الإسلام ولغة القرآن وأهله كما يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى وإن اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، لكن العربية هي وحدها لغة الدين، وأيّ دين؟ إنه الإسلام الذي أكمله الله وارتضـاه »ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين«.(1) ولقد استفاد الـعــدو مــن الصراع الممتد بيننا وبينه، فعلم أن المسلمين يرون في القرآن العظيم منهاج حياتهم، وقوام وجودهم وتفوقهم، وأنهم يجعلونه فوق شُبهات العقول وشهوات الأنفس، وأن لا سبيل لهم إلى العلم بالقرآن والعمل به: إلا من طريق اللغة، وبذلك أدرك العدو أن اقتحام حـصــون الـمـسلمين إنما يتحقق بتخريب لغتهم، وتشويه صورتها في عيونهم وعقولهم، وأن من شأن ذلك أن يضمن له الفوز عليهم بأقل الخسائر وأرخص التكاليف، ولا شك

في أن البحث عـــن أسباب الضعف في التعبير اللغوي من دون إدراك هذه الحقيقة إنما هو بحث عقيم لا يفضي إلا إلى مزيد من التخبط والضلال.
إن الأمـــة التي يضعف تأثيرها في حركة الحياة يدبّ الضعف في أطرافها جميعاً، ويسري الوهن في روحها كلّه، فليس الضعف اللغوي إلا مظهراً من مظاهر التخلف الكثيرة في هذه الأمة المغلوبة، وليس من ريب في أن معرفة الداء الذي أركـس الأمــة وهــو انحرافها عن منهج الله هو الخطوة الأولى على طريق شفائها، وما شفاؤها إلا في فـرارها إلى ربها القادر، حـتـى يُعيد لها الكَرّة الأولى على عدوّها، فتعود كما كانت خير أمة أخرجــت لـلـنـاس، ويومـئـذٍ تعزّ لغتها كما عزّت من قبل، ويصلح آخر أمرها كما صلح أوله، وتتوقف معاناة أبنائها من كيد أعدائهم لهم، ومكرهم بهم، إذ يأمرونهم أن يكفروا بالله ربهم، وأن يرضوا بأن يصبح الإســـلام ويُمسي غريباً بينهم، يحيا في نفوس أشتاتٍ منهم مستضعفين، تُكال لهم التهم، وتسـتـباح دمــاؤهم وأموالهم إذا هم خرجوا به عن حدود الشعائر التعبدية في المساجد والبيوت.
ولقد كــان مـن أكـبـر الـكـيـد لنا أن يزعم أعداؤنا أن نجاحاتهم الكبيرة في ميادين العلم مستفيدين من سنن الله الكونـيـة في تسخير ما في الأرض جميعاً لبني آدم أنها إنما كانت نتيجة فصلهم بين الدين والدنيا، وأن يربطوا بمكرٍ تزول منه الجبال بين نهضتهم وكفرهم من جهة وبين تخلّف المسلمين وإسلامهم من جهة أخرى، مع أنهم كانوا في الماضي كفاراً وكـــانوا أشدّ تخلفا وكان المسلمون مسلمين حقاً، وكانت لهم السيادة والقيادة والتمكين في الأرض، عـلــى أن العدو قد نجح في كيده إلى حد كبير، وانظر بعضاً من أبناء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مفتونين بالغرب، خواضين في مستنقعات تقليده، مطموسي الأبصار والبصائر، يصبحــون ويُمسون وهم يرون في الغرب قدوةً وإماماً! حتى إذا قال واحد ممن يُسَمّون علماء التربية الحديثة: إن الطفل لا يصح أن يُلقّن شيئاً لا يدرك معناه، قالوا: لا ينبغي إذاً أن يُحَفّظَ شيئاً من القرآن حتى يبلغ سن الرشد، وهم يعلمون أن ما من دولة من دول العالم إلا ويحفظ أطفالها مـن الأنـاشـيـد مــا لا يدركــون معناه، ويعلمون أن آباءنا وأجدادنا كانوا يبدؤون في طفولتهم الغضّة بحفظ الـقـرآن، وكـانـوا خيراً منّا في تفكيرهم وتعبيرهم مِراراً كثيرة.. وإن قال قائل من فلاسفة التربية الحديثة: إن الفـنــون الأدبية ينبغي أن تكون حيّة واقعية، آثر غير قليل من أصحابنا كتّاب هذه الفنون أن يجعـلـوها بالعاميّة أو يجعلوا الحوار فيها كذلك وذلك عندهم أضـعـف الإيـمـان!، وكذلك أصبح إعلاميّونا ومعلمونا مغرمين بالعامية حتى إذا حمل أحدهم نفسه على ما تكره، وحمّلها ما لا تطيق تكلّف الفصحى على استحياءٍ تكلّفاً، وجاء بها معجمة غير مُعرَبة!
إن أعداء الإسلام هم الذين هوّنوا من شأن هذه اللغة، وأرجعوا إليها كل ضعف في مستوى الثقافة والتحصيل العلمي، ودعوا إلى العامية تارة وإلى اللاتينية أخرى، ومعروف أن أول كتاب دعا إلى استعمال العامية كتبه قاضٍ إنجلـيـزي

في مصر عــام 1902 م اسمه (ولمور) سمّاه (لغة القاهرة) وضع فيه قواعد تلك اللهجة، واقـتـرح اتخــاذهــا لغة للعلم والأدب جميعاً، كما اقترح كتابتها بالأحرف اللاتينية، ثم كأنما بصق القاضي الإنجليزي المذكور في فم إنجليزي آخر كان مهندساً للريّ في مصر هو (وليم ولكوكس) الذي قام ينعق بهجر العربية سنة 1926 م، ويترجم أجزاء من الإنجيل إلى ما سمّاه »اللغة المصرية«، فيقوم على إثر ذلك الصليبي (سلامة موسى) فلا يستحيي أن ينوه بالكاتب والكتاب، وأن يدعو بدوره في كتاب سمّاه (البلاغة العصرية واللغة العـربـيـة) إلى لغة أخرى غير الـفـصـحـى، لـغـة جديدة! تمتزج فيها الفصحى بالعامية؛ ليكون عندنا بزعمه لغة واحدة للكتابة والكلام.. ومع الأيام يُقيّضُ لهذه الفكرة الخبيثة من شياطين الإنس دعاةٌ آخرون مخلصون كفخري البارودي الذي تولّى في دمشق إصدار صحيفة أسبوعية باللهجة العامية وكسعيد عقل في لبنان، وآخرون من خريجي الجامعة الأمــريكية ببيروت، التي كانت وماتزال معقلاً من معاقل الغزو الثقافي الذي اقتحم على المسلمين مجتمعاتهم وبيوتهم حتى لم ينج من عقابيله أحد، ومَن مِن أبناء المسلمين إلا من رحم الله وقليل ما هم عُوفي من أخطار الفن والرياضة، وأخبار الأزياء (والموضة) وشرور (الفيديو والتلفزيون)؟!

وأما بعد فما السبيل؟ السبيل أن ترجع هذه الأمة إلى ربها، وتسترجع شخصيتها وتستعيد سلـطـانها وهيبتها، وتُعيد النظر من ثــمّ في أوضاع لغتها، مناهج وكتباً ومعلمين ومتعلمين، عندئذ، وعندما يؤدي الإعلام أمانته، وعندما يُعدّ اللحن في اللغة كما عدّه أسلافنا العظام في جملة العيوب والذنوب، وعـنـدمــا يحرص كل مسلم أن يكون قوياً أميناً.. عندئذ تكون أمتنا قد عـرفــت الداء والــدواء، فمشت على طريق العافية. يروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعريّ: »إنّ كاتبك الذي كتب إليّ لحَنَ لحناً فاضربه سوطاً«، أو لسنا أحوج من الصحـابة في عـهـد عمر إلى مثل تحرّيه رضي الله عنه؟! ليس في ضرب الكُتّاب ولكن في اختيار المجـيـدين وأهل البيان والمتخصصين في مجالاتهم ليؤدوا أدوارهم المطلوبة حتى لا تخرج علينا دعاوى إنهزامية من ذلك القبيل.

الهوامش:

(1)سورة آل عمران:85.

في دائرة الضوء

ملحوظات حول قضية »التأويل«

د. محمد يحيى

ظهرت في الأعوام الأخيرة في كـتـابـات عــــدد مـن الـمثقفين العرب ولاسيما في مصر قضية فكرية، يمكن تسميتها بقضية التأويل أو التفسير للـنـصــوص. وينقسم الطرح المحيط بهذه القضية إلى شقين: أحدهما أدبي، والآخر فلسفي إلا أن الموضوع برمته قد نشأ نتيجة للتأثر بتيار فلسفي نقدي أوروبي عام هو تيار »الهرمنوطيقا« أو عـلـم التفسير الذي يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر في صورته الحديثة، والذي يوجد حـضــــور له في العديد من الفلسفات الأوربية الكبرى كالهيجلية والماركسية والظواهرية والوجودية، فـضــلاً عــن مدارس النقد الأدبي الحديثة، وقبل ذلك كله في علوم نقد وتحليل ما يسمى بالكتاب المقدس في الغرب، والصورة الحديثة التي نشأ فيها علم التفسير في أوروبا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بـهــذه النقـطة الأخيرة في نقد الكتاب المقدس عندهم وتأويله وبالذات بعد أن أظهرت الدراسات العلميـة واللغوية في القرن الثامن عشر وقبله الكم الكبير من العيوب والنقائص والتناقضات المتضمنة في الشكل الموجود لدى الكنائس من الأناجيل والتوراة، وقد أدت هذه الدراسات إلى إسقاط مفاهيم صدق الكتاب المقدس وثباته وصحته، كما فتحت الباب واسعاً أمام من يريد الإبقاء عـلـى قــدر مـــن الإيمان والمصداقية لهذا الكتاب لكي يؤول ويفسر ويتكئ على المجاز في تعامله مع هذا الـنــص، كذلك أدت الدراسات العالمية واللغوية إلى إسقاط المفهوم المتوارث بأن الكتاب المقدس هو كلمة الرب، وأن الطريق الوحيد للتعامل معه هو تفسيره بالأسلوب اللغوي المعتاد بالشــــرح والتبيين استخراجاً من معاني الألفاظ، وظهر من خلال هذا كله منهج يرى في النص أو فـي الكـتاب المقدس مجرد وضع بشري، شأنه في ذلك شأن سائر التأليفات البشرية من أدب وقـانــون وسير وتواريخ، حتى وإن زعم له بعضهم: أصلاً أو إلهاماً أو إسقاطاً إلهي المصدر.

إزاء هذا التحول الحاسم في النظرة إلـى كـتـابـهـم الـمقدس بإسقاط قدسيته في واقع الأمر، وإسقاط طابعه الإلهي المعتاد، جاءت الدراسات الأولـى أو الـمـواضـعـات الأولـى فـي علم »الهرمنويطيقا« لكي تحاول وضع أسس وصفت بالعلمية والموضوعية للتعامل مع »النصوص« كل الـنـصـوص تفـسـيـراً وتأويلاً وفهماً وعلماً وعملاً، وكانت هذه المحاولات في مطلع القرن التاسع عشر وقبله بقليل، ثم طيلة ذلك القرن من جانب نفر من المفكرين والكتاب الألمان، وهو الأمر الذي ألقى بظله في العهود اللاحقة، بحيث يكتسب هذا الفرع الدراسي الطابع الألماني، ويؤثر في الـمـدارس الـفـلسفـيـة والفكرية الألمانية ويتأثر بها، وبقي هذا الطابع محفوظاً حتى فيما بعد عندما انتقل هــذا الـبـاب من البحث إلى سائر البلدان الأوروبية وأمريكا، وبغض النظر عن أشخاص المفكرين والـفــلاسفة المؤسسين لهذا العلم، والإسهام المميز الذي كان لكل منهم في تحديد معالمه فإننا نلحظ خطوطاً عامة رئيسة تميز بها فرع »الهرمنويطيقا«.

هناك أولاً القول بضرورة البعد عن وضع القواعد الحاكمة لتفسير النصوص، واللجوء بدلاً من ذلك إلى البحث في »الموقف التأويلي« وتناول هذا الموقف من جوانبه المختلفة كما يقع، دون محاولة وضع القواعد والأحكام التي ينبغي على المفسرين الامتثال لها، ثم هناك نزع طابع القدسية أو حتى الخصوصية المميزة عن أنواع من النصوص، والنظر إلِى أي مكتوب على أنه نص، له في موقف التأويل الوضع نفسه الذي للنصوص الأخرى فيما يجري عليه من عمليات الفهم والشرح والتفسير، وهناك من المعالم المهمة مفهوم »تاريخية النصوص« و »تاريخية التفسير« الذي يرى أن النصوص ومفسريهـا والمواقف التأويلية التي تندرج فيها تخضع كلها لمقتضيات التاريخ وحتمياته وتغيراته وعملياتـه ويرتبط بذلك سيادة مفهوم »النسبية« في النظرة إلى النصوص ومضامينها. وهناك كذلك مـن ملامح هذا الباب الدراسي المهمة توسيع دلالات »التأويل« و »التفسير« و »الفهم« التي هي مصـطـلـحـات لعمليات ذهنية وبحثية ؛ بحيث تشمل ظواهر وعلوماً حياتية كثيرة، ولا تقتصر فقط على التعامل اللفظي الإدراكي مع النص المكتوب، ووفق هذه الرؤية أصبح التأويل عند بعـضـهـم من متأخري المؤسسين للنظرية (لا بأس من ذكر أسماء ديلثي وهيدجر وكلاهما مفكر وفيلـسـوف ألماني) أصبح يعني العملية الحياتية الجوهرية التي لا غنى لإنسان عنها في شتى مراحل حياته: من إدراك حسي، إلى إدراك فكري ومعنوي، إلى النظر في الكون والمجتمع، إلى التعامل مع الآخرين وإلى تكوين المباحث الفكرية فيما يعرف بالعلوم الإنسانية من تاريخ وفلسفة وأدب وفن وقانون ودين.... الخ وبجانب هذه الملامح الكبرى للعلم، نجد أفكاراً ومفاهيم فرعية تـصـبـغه هي الأخرى وتحدد شكله: كالقول بانفتاح النصوص، وتعدد معانيها بـتـعــدد قارئيها، وتـعــدد السياقات التي تقع فيها والقول بجوهرية دور القارئ في عملية الفهم والتفسير وإنتاج المعنى.
وإذا كانت هذه هي ملامح البحث »الهرمنويطيقي« الرئيسة، إلا أن هذا الباب الدراسي لم يخلُ عند انتشاره في دول كأمريكا وإنجلـتـرا من أصوات تعارض النزعة النسبية الطاغية التي غلبت عليه في طروحاته الألـمـانية، لكن هذه الأصوات (وأبرزها الباحث الأمريكي هيرشي) لم تتمكن من مـقـاومــة النزعات النسبية والتاريخية لمفهوم التأويل ؛ لأن هذه النزعات ارتبطت بجوهر العلم في كتابات مؤسسيه من الفلاسفة الألمان، وهو الأمر الذي كان له أبلغ الأثر عند نقل بعض مباحث هذا الدرس إلى السياق الثقافي العربي كما سنرى، وأيا كان الحال فإن محاور »الهرمنويطيقا« الأسـاسـيـة في العقود الثلاثة الماضية تمثلت في ثلاثة محاور كبار:
فعلى المستوى الديني بدأت من ألمانيا، وانتشرت إلـى إنجـلـتـرا وأمريكا داخل الأوساط الكنسية البروتستانتية حركةٌ واسعة من إعادة النظر في الأناجـيــل وفي المفاهيم الدينية النصرانية المستمدة منها، وارتبطت هذه الحركة بأسماء قساوسة كبا ر، بل وأساقفة رؤساء في هذه الكنائس، برز

منهم الألمان: »بولتمان« و »بونهوفر« و »كون« وغيـرهـــم، وأفرزت هذه الحركة مفاهيم وأفكاراً تتردد الآن في وسائل الإعلام الغربية بعد أن أخذت طريقها إلى ساحة الظهور الشعبي، وقد كانت قبل ذلك محصورة في نطاق البحث الأكاديمي، وهي أفكار تقول بإنكار المعجزات الكونية، والخوارق المذكورة في الأناجيل، وعلى رأسها مولد المسيح من عذراء أو ألوهيته! كما تدعو إلى التأويل المجازي للأناجيل وإسـقـــاط الاتباع الحرفي لها، وتذهب إلى تجاوز ما احتوته التوراة أو الأناجيل من أحكام شرعية، وتنادي بتفسيرات مختلفة جذرياً لجوانب عدة من هذه الكتب.
أما المحور الثاني الذي ظهر عليه علم »الهرمنويطيقا« فكان عالَم الدرس الأدبي والـفـكـر النقدي، حيث ظهرت مدارس أدبية ذائعة الصيت ؛ نتيجة لاستعارة بعض مفاهيم هذا العلم وأسسه وتطبيقها على النصوص والمباحث الأدبية وهكذا ظهرت مدارس جماليات التأثير الأدبي، ونظرية استقبال النصوص الأدبية (في أوروبا)، ومدرسة نقد وتمحيص استجابة القراء للنصوص (في أمريكا)، وكلها تعنى بنقل ثقل تركيز النقاد من النص الأدبي كوعاء جامد للمعنى إلى كيفية »إنتاج المعنى« في عمليات القراءة والمؤثرات الشخصية والنفسية والاجـتـمـاعـيـــة والـتـراثـيـة التي تفعل فعلها في ذلك، وظهرت مدارس البحث في تعدد مستويات النصوص الأدبية وثراء معانيها، نتيجة لعمليات التفسير المختلفة وتفاعلها مع عمليات اللغة الطبيعية.
أما المحور الثالث الذي دار حوله »علم الهرمويطيقا« فكان المحور الفلسفي حيث تحول هذا العلم أو مفاهيمه إلى المفاتيح الـرئـيـســة لبعض الفلسفات والفلاسفة المعاصرين كالظواهرية والهيدجرية، وأقرب من ذلك لدى الفـلاسـفـة الأمريكان الجدد وأبرزهم ريتشارد رورتي وغيره.
هذه نبذة بسيطة عن النشأة الحديثة وعن الملامح الكبرى لدرس علم التأويل والتفسير في الغرب، وفي سياقه الحضاري الحاضر، ومشاكله المتميزة وأبرزها إن لم يكن أوحدها المشكلة مع النص الديني المتمثل في الأناجيل الموجودة بين أيديهم، والتي ثبت لهم أنها ليست كلمات الرب ولا المسيح، بل هي سير، كتبها بعض المؤمنين بعيسى بعد عهده بسنوات طويلة، وكان تطرق الشك إلى هذه »الكتب المقدسة« مما يمس مصداقيتها وصحتها شكلاً وتواتراً ومضموناً هو المحك الأول الذي ساهم في النشأة الحديثة »للهرمنوطيقا« وفي الطابع النقدي الذي اصطبغت به، وفي الملامح الرئيسة لها كما استعرضناها فيما سلف، ولهذه النقطة بالذات أهمية محورية عند التعرض لنقل بعض جوانب هذا الدرس إلى المناقشات الثقافية العربية الجارية.
إن للتفاعل العربي الثقافي مع الغرب في »العصر الحديث« كما يسمى تاريخ طويل ومعقد ليس هنا مجال تناوله، ويشمل هذا التاريخ في جوهـــــره »استيراد« المدارس والأفكار الفلسفية الرئيسة في الغرب ؛ لتمثل في

أشكال مبسطة أو محرفة العمود الفقري لطروحات النخب المثقفة العربية المتغربة والمعلمنة على مد ى قرن أو يزيد، وعملية »الاستيراد« والتجهيز للاستهلاك والطرح في الأسواق الفكرية تحتاج هي الأخرى إلى تحليل ووصف ليس هنا مجالهما، لقد جرى استجلاب الأفكار الأساسية للفلسفات الغربية تباعاً على مدى النصف الثاني من القرن التاسع عشر والقرن العشرين وفق احتياجات واضحة: هي علمنة وتغريب الطبقات المتعلمة والقائدة ثقافياً في البلاد العربية ولذلك كان التركيز في النقل أو الاستيراد (أو الغزو الفكري) على المذاهب الفكرية صاحبة الـمـقـــولات السياسـيــة والاجتماعية والاقـتصـادية، كما تركّز النقل على الجوانب الفعلية والحركية والعملية مـنـهـــا دون الجوانب »التقنية«، أي الجوانب المنطقية والنظرية المجردة ؛ وهكذا شهدنا نقل الليبرالية في نواحيها السياسية والاجتماعية، والماركسية في شقها التطبيقي الشيوعي والاشتراكي والبراجـمــاتية الأمريكية، والوجودية في جوانبها السلوكية والفنية تماماً، كما شهدنا عمليات نقل الأنظمة القانونية والإدارية والسياسية والاقتصادية والأدبية والسلوكية...الخ ؛ وكان من شأن هذا العامل الحاكم لنقل المذاهب الفكرية الغربية بغية استعمالها في المقام الأول كأدوات لبث ودفع العلمنة والتغريب إلى المجتمعات العربية المسلمة، وليس كأدوات تفاعل وتنشيط فكري أن يؤخر نقل واستيراد فلسفات معينة اتسمت بغلبة الطابع التقني على مظاهرها وأبرزها فلسفة التأويل، وكان منها بالمناسبة الفلسفة الوضعية المنطقية التي نقلت على يد زكي نجيب محمود، ولكن مع تطويع لجوانبها التقنية بحيث يصبح لها طابع فكري اجتماعي ديني أدبي، يستخدم هو الآخر في عمليات العلمنة والتغريب.
كان الطابع »الفلسفي« التقني الغالب على علم أو درس »الهرمنويطيقا« هو العامل المحدد وراء تأخر نقل جوانب من هــذا العلم واستخدامها في سياق عملية العلمنة والتغريب من جانب النخب الثقافية الـعـربـيـة المتصلة بالغرب اتصال حياة وبقاء، أضف إلى ذلك صعوبة هذا العلم وتركز مـصــادره الأساسية في الثقافة الألمانية قبل اتصال النخبة بها، وإن كان لهذا العلم وضع قوي لاحق داخل الثقافة الفرنسية، مما أدى مثلاً إلى ظهور بعض مؤثراته على نخب شمال أفريقيا، كــذلك تأخــر النقل والاستيراد في تقديري لأن الفلسفات الأخرى الطاغية في تفكير النخب المثقفة كالليبرالية والشيوعية وبعض أشكال القومية كانت تؤدي دورها في العلمنة والتغريب على أكمل وجه، ولا يجب أن ننسى أن التخلف الذي يميز هذه النخب إزاء الثقافة الغربية التي يعتبرونها القدوة مسؤول هو الآخر عن تأخر نقل »الهرمنوطيقا«، ذلك العلم الصعب المرتبط بالسياقات الفكرية والتاريخية والحضارية للعالم الغربي، غير أن عوامل متعددة تضافرت ؛ لتعوض هذا التأخر في النقل، ولتساعد على الإقبال من جانب بعض عناصر النخبة المثقفة العربية على »الهرمنويطيقا« ومفاهيمها. إن الفلسفات الرئيسة التي جُلبت من الـغــرب

على مدى القرن الماضي وقد فشلت في الأداء العلماني التغريبي، بعد أن تعرضت لعمـلـيــات نقد وتفنيد واسعة ليس فقط في البلدان الإسلامية ولكن في مواطنها الأصلية، وفي بيئتهـا الفكرية ذاتها وقد تحولت بعض هذه الفلسفات ولاسيما الليبرالية والبراجماتية إلى مجرد مذاهب سياسية اجتماعية لا تسندها حجج فلسفية عميقة ؛ لكي تضفي عليها مصداقية ومكانة، أما الماركسية فقد أصابها هي الأخرى ذلك التحول فضلاً عن سقوطها المدوي المعروف في المجال العملي والنظري على حد سواء، ولم يتبقَ منها إلا شذرات من مفاهيم فلسفية متفرقة، سرعان ما أعيد اندماجها في المسار العام للفكر الغربي ذي الطابع العلماني، ولم تعد هذه الفلسفات ترضي النزعات التعمقية لدى قطاعات من النخبة المثقفة التي كانت تتطلع إلى الفكر الغربي دوماً باعتباره يمثل قمة العمق والتبحر في النظر إلى الكون والأشياء.
في هذا المناخ جاء نقل »الهرمنويطيقا« أو بالأصح بـعـض مـفـاهـيمها من جانب قطاعات من النخبة قليلة العدد صاحبة التأثر بالفكر الفلسفي الألماني والفرنسي الحديث، وجاء هذا العلم ليقدم نفسه حلاً مثالياً للمشاكل التي ألمحنا إليها في الفقرة السابقة لدى الفلسفات الغربية الأخرى التي تبنتها النخبة، فهو بحث فلسفي يحتفظ بمستوى من العمق، وفي الوقت نفسه من الاتساع والانفتاح على شتى مناحي الثقافة غاب عن الفلسفات الأخرى، وهو قبل كل شيء بحث فلسفي يدور حول محور المحور الديني هو محط تركيز عملية العلمنة والتغريب التي أوكلت إلى النخبة المثقفة، وبجانب ذلك فهو بحث فلسفي يخلو إلى حد كبير من وصمة النقل والتقليد و »الاستيراد« التي شابت المدارس الفلسفية الأخرى، وسهلت كثيراً من عمليات نقدها ودحضها ذلك لأن لفلسفة التأويل دوراً بارزاً وأصيلاً فيما تسميه النخبة بالتراث: فهناك تفسير القرآن بمدارسه، وتأويـل ألـفـاظه معانيه وشرحها، وهناك مقولات تأويلية مشهورة اختلفت حولها مدارس علم الكلام، بل ونـشـأت أسـاسـاً بسـبـبـهــا وهـنـاك تعبيرات معروفة في ذلك التراث تفيض بالمغزى التأويلي كعبارة »القرآن حمال أوجه«، وباختصار فهذا علم له نظير كبير في الوضعية الإسلامية الفكرية والثقافية، ولا يتطلب الأمر الـتـحـايـل لإثبات أن له أصلاً في الإسلام على الساحة العربية، وإضفاء »العالمية« عليه.
وفي الحقيقة فإن وجود علم إسلامي عربـي للتأويل والتفسير بقواعده وممارساته، كان أمراً جذاباً لنقلة »الهرمنويطيقا« يجـنـبـهـم مــن ناحية التعرض لمقولة الغزو الفكري، كما يضفي عليهم من ناحية أخرى طابع الباحثين المجددين في الوضعية الإسلامية، الذين لا يسعون إلى إغراق هذه الوضعية بأفكار غريبة عنها، بل يحاولون إحياء علومها الأصلية مستعينين في ذلك بالتطورات والأفكار »العالمية« حــول ذلك العلم، ولكن وراء هذا التشابه الظاهري أو السطحي كان يكمن الفارق الجوهري بـل والخـطـير بين علم

للتفسير نشأ في خطى الإيمان والاقتناع العقلي بكتاب مقدس (القرآن)، وبين علـم آخـر الـهـرمنويطيقا الحديثة نشأ في خضم التشكك والنقد والإلحاد العقلي بكتب أخرى يقال لها مقـدسـة ؛ هـذا الفـــارق الجوهري في الموقف من »الكتاب المقدس« وعقيدة كل حضارة على حدة، هو الذي يجعل من المغالطة والسفسطة القول بأن »الهرمنويطيقا« هي الامتداد المشروع والطبيعي لعلوم التفسـيـر الإسلامية لاسيما وأن أصحاب هذا العلم الجديد ودعاته هم المبشرون المتحمسون لمقولة أن لـكـل عـلــم إنساني أو حتى طبيعي أرضية أيديولوجية وعقيدة فكرية »غير علمية« تحدد محتواه بل ومنهاجه أيضاً ومنطقه.
وإذا كان نقل علم »الهرمنويطيقا« قد بدأ على استحياء وقلة في مجال دراسات النقد الأدبي؛ لأن أحد محاوره الرئيسة في الغرب يمر كما أسلفنا عبر هذا المجال ويدلي فيه بدلوه، وإذا كان نقــل هذا العلم لم يحدث إلى درجة تذكر في مجال المحور الفلسفي في الطرح الغربي بسبب صعوبة هذا الميدان ودقة المدارس الفلسفية التي تبنته ومحدوديتها، فإن النقل على المحور الديني هو الذي ظهر بشدة على مدى السنوات الأخيرة ؛ ليفتح فصلاً جديداً في سجل محاولات النخبة العلمانية المثقفة مواجهة الإسلام ومنهجه، ولعل في هذا التركيز عـلـى المـحـور الـديـنـي لعلم »الهرمنويطيقا« في مقابل المحورين الأدبي والفلسفي ما يشير بوضوح إلى أن النخبة قد مارست مع هذا العلم ما مارسته من قبل مع شتى النقول الفلسفية والفكرية من أوروبا، أي التركيز على العناصر والجوانب التي يمكن أن تستخدم في تعمق عملية التغريب والعلمنة، ومواجهة الفكر الإسلامي، كل ما في الأمر أن المذاهب الفلسفية وآخرها الماركسية قد فـشـلـت فـي مواصلة هذه العملية، وحان دور مذهب آخر ؛ ليؤدي المهمة نفسها بكفاءة، فكان هذا المرشح الجديد هو »الهرمنويطيقا« لجدته وأهميته وبروزه في التفكير الفلسفي الغربي المعاصر، ولوجود نظير له في التراث الإسلامي يُمَكّن من استغلال التشابه بينهما وأحياناً وحدة القضايا المطروحة كأحد أدوات التضليل والإرباك والتعمية.
هكذا إذن دخل درس التأويل والتفسير ساحة الخطاب الفكري للنخبة المثقفة المعلمنة في عالمنا العربي في الآونة الأخيرة ؛ لـيـؤدي مـهـام ثـقـافـيـة محددة في المواجهة مع الفكر الإسلامي الصاعد، وليتعامل معه بشكل يتصور أنه أفضل مــن تعامل المذاهب الفلسفية الأوروبية السابقة، وتمثل مفاهيم هذا العلم الآن الخلفية العمود الفقري الفلسفي للعديد من طروحات النخبة في مواجهة الفكر الإسلامي وأفكار الحركات الإسلامية، فهذه المفاهيم تقف بشكل مباشر أو غير مباشر لتسند طروحات مثل: إعادة تقويم: »التراث« ومراجعته وقراءته و »تطوير« الشريعة الإسلامية، وتفسير القرآن بما »يتلاءم مع عصرنا« وتعددية التفاسير والمعاني القرآنية، و »بشرية النص القرآني«،

وتاريخية القرآن ومحدودية انطباقيته، وتجاوز »حرفية« النص القرآني إلى »اتجاهه« في التشريع بل وفي العقيدة، ونسبية التراث ومفاهيمه (مع ملاحظة أن الإسلام بعقيدته وشريعته ونصوصه يندرج عـنــد النخبة تحت مفهوم التراث).. الخ. إن الأفكار الكلية والجزئية على كافة المستويات الـتـــي تطرحها بعض أصوات النخبة المعلمنة المتغربة الآن في دائرة ما يسمونه التراث بدءاً مـــن حديثهم عن »مفهوم النص القرآني« وانتهاءاً بالحديث حول انتقاء العناصر »الإيجابية والتقــدمـيـة« من التراث ونبذ الباقي، واتخاذ موقف نقدي من الكل، إنما تنبع كلها من أرضية مفاهيم علم »الهرمنويطيقا« كما بدأ نقلها في الأعوام الأخيرة من بعض فلاسفة أوروبا.
وحتى هذا الحد فإن الوضع من الناحية الثقافية يبدو وكأنه لم يتغير عما كان يحدث من قبل من جانب النخبة العلمانية، فنحن نجد أنفسنا أمام استعارة مذهب فلسفي غربي مع تحويره بحيث يصلح أداة لمواجهة الإسلام من ناحية وتعميق عمليات التغريب والعلمنة من ناحية أخرى، ولكن هناك فوارق جوهرية كما ألمحنا من قبل، فنحن لا نواجه هنا مذهباً فلسفياً أيديولوجياً تقليدياً وإنما نواجه بمنهج في البحث والتفكير يزعم لنفسه أنه تجاوز الأنماط الأيديولوجية والطروحات السياسية والاجتماعية ليصبح منهج العلوم كلها الإنسـانـيـة وغير الإنسانية، بل ويزعم لنفسه أنه قد أصبح الأب المهيمن على المناهـــج البحثية ونحـن لسنا أمام مجموعة من النصوص الفكرية والفلسفية كما كانت الحال من قبل، بل أمام مـجـموعة من الأفكار (النصوص!) تزعم لنفسها أو يُزعمُ لها أنها أصبحت تهيمن على كل النصوص على الإطلاق من حيث إنها هي التي تحدد كيف يجري التعامل مع هذه النصوص، وكيف يتم تفسيرها وتأويلها واستخراج معانيها والحكم عليها، وفوق ذلك فنحن أمام تيار يزعم أن له في التيار المناظر في الوضعية الإسلامية قريناً مكافئاً، وأنه لا يحارب هذا القرين، بل يجدده ويطوره وينميه، ويفك من جموده وسقمه المدعى.
وقد يكون من الملائم في ختام هذه الملحوظات، التي رسمنا فيها خلفية ما يتردد الآن من أفكار حول التأويل وتوظيفه في فهم التراث والقرآن وتفسيرهما، أن نشير في خطوط عامة إلى محاور للرد عليها.
منها: إن الذين يتحدثون الآن عن »النصوص« وتفسيرها وتأويلها يقلدون الغربيين الذين ينقلون عنهم في الخلط بين كل أنواع النصوص وعدم التفريق بينها لا من حيث الشكل ولا المضمون ولا الهدف ولا معاملة المجتمع ونظرته لكل منها عندهم، فإذا كان التقديس في أوروبا قد سقط عن »الكتب المقدسة« التي ثبت أنها حُرّفت، فإنهم هنا يحذون هذا الحذو ويسقطون القداسة أو بـالأصـح يـنـفــون الأصل الإلهي عن القرآن، وإذا كان أساتذتهم في أوروبا يعاملون كل مكتوب على أنه نص يستوي في ذلك الديني والقانوني والأدبي، فإنهم هنا يتبعون النهج نفسه، وينتهجون الأسلوب نفسه في التعامل مع عالم النصوص باعتبارها جميعاً متساوية متشابهة، دون تمييز بين نوعيات

وأهداف خاصة بهذه النصوص توجب لكل منها معاملة خاصة في التأويل والتفسير والمعاملة، ولنضرب المثل على ذلك: فإذا جاز الحديث عن النص الأدبي بالقول باستقلاليته عن مراد كاتبه، وبتعدد معانيه وتغيرها بتغير القراء والعصور والأغراض التي تقرأ لها، ونسبية المعاني العامة المستخلصة منه... الخ، فإن ذلك يجوز لطبيعة النص الأدبي الخاصة أو بالأصح لتحديد المجتمع الأدبي لهذه الطبيعة الأدبية والغرض الأدبي، أما في النص الديني (ونحن نسميه هكذا تجاوزاً لكي نتفق فقط مع مصطلحات هذا العلم)، فإن أمثال هذه التعاملات لا تجوز ؛لأن هذا النص يختلف عن النص الأدبي من حيث أن القدسية التي يضفيها عليه المؤمنون به تفترض معاملة خاصة لثبات المعاني النابع من كونها تشريعات أو منطوقات إلهية وليست بشرية، بينما النص الأدبي هو نص بشري الوضع، ولا يقصد به الوحي ولا التشريع، بل يلقى إلى القراء مقطوعاً عن كاتبه حسب نظرات بعض المدارس النقدية الأوربية الحديثة وليس كلها، كذلك فإن الأنواع الأخرى من النصوص تتطلب معاملة مختلفة عند التأويل والتفسير، ولا يكفي هنا أن نقول كما يفعل بعض دعاة هذا الدرس إن الكل نصوص مصنوعة من اللغة، وإن اللغة لها »آليات تفسيرية« عامة شاملة ذلك لأن اللغة تستخدم في كل حالة أو نوع من النصوص لغرض مختلف يدخل هو أيضا في حساب آليات التفسير اللغوي هذه، كما أن نفس الآليات التأويلية اللغوية تضمن ثبات المعنى وعلوه عن النسبيات التاريخية التي يكثر دعاة الفكرة هذه من الإلحاح عليها ؛ لهدف لا يخفى هو هز ثبات المعنى القرآني، وإحالته إلى النسخ والتغير والضياع والتجاوز والسقوط.

والواقع أن بعض من يرددون أفكار مستقاة من »الهرمنويطيقا« في النخبة العربية المثقفة، يذهبون في التركيز على النسبية والتاريخية وميوعة المعنى وتغيره مذهباً متطرفاً يجاوزون به بعيداً ما وضعه أساتذة العلم الغربيون من ضوابط علمية، وحدود تقي الشطط المدمر بكل معنى وكل قيمة، وما ذلك إلا لأنهم قد قصدوا شيئاً محدداً من وراء ترويج هذه الأفكار، هو كما قلنا مواجهة الفكرة الإسلامية، ولعلنا مادمنا نتحدث عن التأويل والتفسير نجد في مسلكهم هذا أو في غرضهم هذا ما يفسر ويشرح لنا سبب تبني الغرب وبعض الدوائر النافذة لأولئك النفر، وتصعيدهم في منابر الثقافة الرسمية العلمانية، وتحويلهم زوراً من خلال بعض القضايا المثارة إلى شهداء رأي وأبطال فكر..

منتدى القراء

قيمة المرء ما يحسن

عامر إبراهيم

هكذا روي عن الخليفة الراشد علي رضي الله عنه، وهكذا أثبتت التجارب، ونطق التاريخ.. فكما أن العمل أصل في بقاء الفرد وأصل في قيام الأمة، فكذلك الإحسان أصل في رقي الفرد، ونهوض الأمة.. وبذلك يتلازم العمل والإحسان فيه.
ومن هنا يتحدد موقع الإنسان الذي يستحقه، وبالتالي تتحدد قيمته تبعاً لذلك، فالعمل قائم بشكل أو بآخر، وهو وسيلة كل حيّ للبقاء والعيش والاستمتاع بهذه الحياة التي وهبها الله إياه ولكن الذي مايز بين الناس، وباين بين مستوياتهم ومواقعهم الأصلية، هو الإحسان الذي هو سبيل النجاح الذي حققوه.
ومن ثم كانت مواقع العظماء في الذروة من شعوبهم وأممهم لا لأنهم عملوا فحسب، ولكن لأنهم أجادوا وأحسنوا.. وهناك في الذرى تحددت أماكنهم، وفي الأفق الغائر تمكنت مواقعهم، وكانوا أحق الناس بذلك.
وهنا يحق لي أن أتساءل: هل كان الإحسان والإتقان في العمل هماً يلازمنا أثناء قيامنا بأي عمل، وبخاصة إذا كنا نقدمه ابتغاء مرضاة الله تعالى وباسم الدين، أم أننا مازلنا في مرحلة طلب العمل والحث عليه فحسب؟!
إننا في حاجة ماسة إلى المطالبة بالإحسان، والمحاسبة الجادة على الخطأ الذي يمس الأمة، والحرص الشديد على تلمس مواطن الإحسان والإجادة وتجنب مواقع الإساءة والخلل، وبذل الجهد في ذلك.
فكم من الأموال التي أنفقت!، وكم من الطاقات التي أهدرت؟، وكم من الجهود التي ضاعت ولا حسيب، ولا رقيب؟!، وكل يدعي وصلاً بليلى، وأنه هو المحسن وغيره المسيء.
ألم يكن فقدان الإحسان في جميع هذه الأعمال سبباً رئيساً في ذلك قصداً وعمداً حينا، وجهلاً وغباءً حيناً آخر؟!!
ولا يلغي هذا جوانب الإحسان المشرقة في كثير من الأعمال وبخاصة التي تقدم في سبيل الإصلاح والدعوة: فهي ولله الحمد ظاهرة، ولا يحق لأحد أن ينكرها، ولكن تبقى المرحلة أقل مما يطمح إليه العمل الإسلامي على المستويين الفردي والجماعي.
وللإحسان عوامل ومقومات، تخضع للتجربة والاستقراء والاجتهاد وبالتالي يصعب حصرها واستقصاؤها في منظومة واحدة، فالحياة وتجاربها مدرسة واسعة، لكل طالب للحق مريد للنجاح والتفوق.
وسأذكر بعضاً منها، لعلها تساهم بشكل أو بآخر في السعي الجاد إلى طلب الإحسان والإتقان في جميع أعمالنا الصغير منها والكبير.

1 -الإخلاص لله وحده:

والإخلاص مَرْكَبٌ يصعب العبور بدونه، ومَطِيّةٌ يصعب التخلي عنها وبذلك كان الإخلاص ركن أساس في صحة العمل وقبوله.

ومتى ما انصرف إلى مصلحة عـابـرة، أو غــرض مؤقت فقد العمل قيمته وتلاشى الإحسان فيه.
ولو تأملنا الإخلاص وأثره لوجدناه يفعل فـعل المعجزات التي يصعب على العقل تصورها، وإخلاص السلف وآثاره، أبرز الشواهد وأصدقها على ذلك.
وكذا في عصرنا الحاضر، فلو تأملنا السبب فـي تحقـيـق جـوانـب من النجاح المادي عند شعوب الغرب، لوجدنا أن الإخلاص الشديد لدنياهم كان له أبرز الأثر في وصولهم إلى ما وصلوا إليه.

2 -التنظيم الدقيق، والتخطيط السليم:

وهذا عامل مهم جداً، وسبب فعّال في مسيرة النجاح والإحسان والتفوق، فبقدر ما يكون الـتـنـظـيـم دقيقاً، والتخطيط سليماً، بقدر ما يحقق النجاح والإحسان ؛ ولذلك كان من جوانب الاخـتـلاف والـتـمـايز بـيـن مـواقـع الدول في عصرنا الحديث، ما هو عائد إلى الاختلاف والتمايز في مستوى الدقة في التنظيم، والسلامة والدقة في التخطيط.. وللتنظيم والتخطيط عوامل ومقومات يطول المقام بذكـرهـا، يمكن أن تندرج تحت ما سنذكره من عوامل ومقومات أخرى.

3- الاستفادة من تجارب الآخرين:

وهذه صفة تكاد تكون معدومة عندنا نحن المسلمين، فالتاريخ مليء جداً، وزاخر بِكَمّ هائل من التجارب والأحداث لمختلف الأمم والشعوب، مـمـا يسـاهـم مـساهـمة فعالة ومؤثرة في مستويات إحساننا في أعمالنا، إذا نحن تعاملنا معها التعامل الصـحـيـح، وكذلك تجارب الشعوب والمجتمعات التي تعيش معنا في هذه الحقبة من الزمن، يمـكـن الاسـتفـادة منها استفادة بالغة، لو نحن أردنا ذلك.

4 -الشمولية في النظرة:

وهذا يتعلق بجانب التخطيط السليم، لكن لأهميته أُفرد، وخاصة في الأعمال الجماعية، فلابد قبل القيام بأي عمل يمثل الأمة عموماً، أو يمثل العمل الإسلامي خصوصاً، من أن تسبقه رؤية شاملة ودقيقة في الوقت نفسه لطبيعة العمل الذي يُنوَى القيام به، ومواطن القوة والضعف فيه، ومناسبته للوقت الذي يقوم فيه، ومدى حاجة الأمة إليه في المرحلة الراهنة، والثمرات والنتائج المتوقعة له، والإخفاقات التي يمكن أن تحدث له، والعوائق والعقبات التي تعترضه.. وحينئذ نكون اجتهدنا وبذلنا ما في وسعنا من أجل نجاحه »فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد«.

5- وضع الاحتياطات الكافية:

وذلك حتى لا نفاجأ بنتائج، وسلبيات لم نكن نتوقعها أو نحسب حسابها، هذا من جهة ومــن جهة أخرى، حتى نعد العدة اللازمة لمواجهة أي طارئ يمكن أن

يحدث أو عقبة يمـكــن أن تعترض، وبالتالي يمكن للعمل أن يحافظ على قيمته، وعلى مستواه في الحــد الأدنى على الأقل.

6- التأني في العمل:

التأني وعدم استعجال النتائج، وقطف الثمرة قبل أن يتم نضجها والإخفاق في هذا العامل ساهم كثيراً في النتائج الوخيمة، والسلبيات العديدة التي حدثت وماتزال تحدث في مسيرة العمل الإسلامي، وهو بالمقابل سمة واضحة لسياسة الأعداء وخططهم، وكما قال الإنجليز »بطيء لكن أكيد المفعول«.

هذه بـعـض الملامح الموجزة لعوامل النجاح والإحسان، أحببت الإشارة لأهميتها وإن كان هناك غـيرها، وهو لا يقل عنها أهمية، إلا أن التركيز على هذه العوامل، قد يكون كفيلاً للوصول إلى الإحـسـان الذي نريده، والذي يريده ربنا، ليرتقي بنا ذلك إلى ما يحبه الله منا، كما أخبر بذلك نبيه -صلى الله عليه وسلم- »إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه«.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

منتدى القراء

قارون العصر

محمد أحمد عسيري

تأتي قصة قارون في القرآن الكريم موضـحـة إحــدى صــور الـطـغـيان والعنجهية البشرية، وراسـمـة سـبـباً من أسباب تفاقم (الأنا) »أو حب الذات ومراحل تطورهــا حـتـى أدت إلـى التعاظم على القدرة الإلَهية المانحة والسالبة، في لوحة عنوانها »جنون العظمة«.

تلك اللوحة القديمة في واقعها، والمتجددة في تعدد أشكالها وأنماطها نجدها تتكرر اليوم في مشابهة ضمنية لـسـابقـتـهـا، ولإن كان تضخم المال طغى على بصيرة قارون موسى، حتى جعلـه لا يرى فيه إلا عبقرية متناهية وجدارة مستعلية، فإن هذا العصر يزخر بصورة أشد استعلاءً وطغياناً، إذ إن هذا القارون الورقي أوتي من القوة الإقتصادية ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، فأصبح عند أناس السيد المتعالي، والقوي القاهر، والعظيم المشرأبةُ إليه الأعناق، والكبير المشار إلـيـه بالـبنان.. فأصبح لسان حال هؤلاء يقول: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، إنه لذو حظ عظيم، فكانوا أشباهاً صغيرة تتقمص شخصيته لتزدلف إليه بهذا التقمص، عسى أن يمنحها شيئاً من استعلائه، ولكن أنّى لهم أن يصلوا إلى صدارة كبيرهم الذي علمهم السحر؟!.

فيا ترى ما قصة هذا القارون العصري؟!

أستطيع أن أقول إن فوح طغيانه يتقزز من استنشاقه كل فرد، ورياح زفراته تكاد تقتلعَ من على الأرض.. كان طفلاً ربيباً فنما، حتى أضحى شاباً يافعاً ندي

المنظر تتفتق عن سواعده متانة العضلات وصلابة العظام، وكانت تنمو معه عقدة (الأنا) حتى أمست ذروة جبل، فلبس تاج الاستبداد، ومد له بساط الطاعة والاحترام، فصارت الدنيا في نظره سادةً وعبيداً، وآمراً ومطيعاً فتجده رأساً من رؤوس الاستعمار، ورمزاً من رموز العبث والخراب، حتى غدت آثاره بارزة للعيان تحدث بها أوضاع العباد، وتشكو منها البوادي والآكام، فلا أدل على آثاره من فرض الحصار، وزعزعة الاستقرار، وتخطيط الحدود، ورؤى الحلول، وحرق الفلول، واقتحام الدور، واستلاب الحقوق.. كل ذلك يتم على مسرح الدنيا خلف أستار من دعاوى الحقوق زاهية الألوان، وتحت رؤى أنظار يلفتها هذا البهاء عن حقيقة الادعاء.

إن هذا القارون يمثل الروح الباعثة لكل هذا الطغيان في جسد تلك المرأة الشوهاء، التي استفهم عنها الشاعر في قوله:

من هذه المرأة الشوهاء، أحسبها وقد تراءت أمامي، شر مخلوق؟
بدت أمامي بسمت لا نظير لها لوجه مستحدث والعقل إغريقي
أجابني ساخراً مني: أتجهلها؟! هذه العظيمة ذات الخيل والنوق«؟!

الصفحة الأخيرة

رسالة

جمال سلطان

وأخيراً استُقبلَ سلمان رشدي استقبال الفاتحين المغاوير في البيت الأبيض الأمريكي، وأنعم عليه رئيس أكبر دولة في العالم اليوم، بشرف المقابلة التي تنم عن اعتزاز وتقدير وامتنان لجهوده المتميزة في خدمة الإنسانية!

وكان هذا الحدث هو ذروة مسلسل التكريم والتبجيل الذي تلقاه شاتم الرسول ومُحَقّر أقداس الإسلام، في مختلف الدول الغربية، وفي مقدمتها بريطانيا وألمانيا وفرنسا، حيث شرفته وكرمته وقابلته قياداتها السياسية العليا، وقد صرح الرئيس الأمريكي عقب المقابلة بأنه أراد أن يبلغ العالم الإسلامي رسالة، وهي أن أمريكا تحترم حقوق الإنسان وفي مقدمتها حقه في حرية التعبير، وهي فروسية أمريكية لم تظهر إلا ضد الإسلام، ومع حرية من ينتهك شرف المسلمين وكرامتهم.

ومما يذكر في هذا المقام أن شعب البوسنة والهرسك ظل يذبح على مدى عامين في أبشع جرائم العصر، وظل الرئيس البوسني يلح على مدى العامين على مقابلة الرئيس الأمريكي، وظل البيت الأبيض يتفلت من الطلب متجاهلاً قصة حقوق الإنسان ومن أعظمها حقه في الحياة، حتى ذهب رئيس وجاء رئيس، وظل التجاهل، حتى فاحت رائحة التآمر والتواطؤ، فأنعم عليه الرئيس الأمريكي باثنتي عشرة دقيقة مقابلة، أخبره فيها بلباقة أمريكية: آسف لا أستطيع أن أفعل لك شيئاً! ومازالت الناس عاجزة عن

فهم المعادلة: كيف يكون حــق كاتب في السباب والـقـذف أهم من حق شعب بكامله في الحياة عند أوربا المتحضرة وأمريكا المستنيرة؟!
أعتقد أن تلك الرسالة قد وصـلـت، وسـيظــل العِرْض الإسلامي مستباحاً، عقيدة وإنساناً، مادام وضع هذه الأمة في العالم لم يجاوز بعد: عير الحي والوتد!

تمت بعون الله وفضله ولله الحمد